"منشآت السلطان قايتباى بمدينة شانلى اورفا (الرُّها) التركية "

د.هالة محمد أحمد

مدرس الآثار الإسلامية بقسم الآثار والحضارة

كلية الآداب–جامعة حلوان

الملخص:

اهتم المماليك بصفة خاصة بمدن الثغور الشامية؛ لصد هجمات الصليبيين ورد اعتداءات القبائل التركمانية المتمردة، ومدينة الرُّها أو تشانلي اورفا الحالية واحدة من هذه المدن المهمة التي لعبت دورا كبيرا على مسرح الأحداث السياسية، وقد كانت تتبع نيابة حلب وهي تُمثل خط الدفاع الأول عنها ومن ثم سائر المدن الإسلامية، ولذا اهتم سلاطين المماليك بتحصينها وحمايتها وبالأخص السلطان قايتباى الذي شيد العديد من القلاع والحصون الحربية بمدن الثغور، وشيد باورفا وحدها عدة عمائر دفاعية لازال عدد منها باقى حتى الآن، كأجزاء متفرقة من سور المدينة وقلعة بيرجيك، وثلاثة ابواب حربية باقية بحالتها الأصلية ونصوصها التأسيسية ورنوكها، بالإضافة إلى مسجدين صغيرين ملحقين بسور المدينة.

الكلمات الدالة: عمائر حربية، قايتباى، قلاع، ابواب، الرُّها

المقدمة:

الرُّها بضم أوله، والمد والقصر، مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ، سُميت بإسم الذي استحدثها وهو الرُّهاء بن البلندي بن مالك بن وعر، وقال قوم إنها سميت بالرُّها لابن الرومي بن لنطى بن سام بن نوح عليه السلام، وقال يحيى بن جرير النصراني إن الرُّها اسمها بالرومية أذاسا وقد بنيت في السنة السادسة من موت الإسكندر، والنسبة إليها رُهاوي[١]. وعرفت المدينة بإسم اورفا -Orfa Urfa الذي قيل إنه مستمد من اسمها الآرامي المبكر Urhal [٢]، وحديثًا أضيف إليها كلمة Şanl وتعنى العظيم لتصبح شانلي اورفا Şanlıurfa المدينة العظيمة[٣]. واورفا من ثغور الجزيرة، وكانت الثغور تقسم إلى قسمين؛ الثغور الشامية التي تمتد بموازاة جبال طوروس وتشمل سيس، الهارونية، المصيصة، أذنة (أضنة)، طرسوس، إياس، وثغور الجزيرة التي تمتد بموازاة جبال طوروس أيضًا، وتشمل ملطية (ملاطيا)، الحدث، مرعش (كهرمان مرعش)، البيرة، جعبر، واورفا (الرُّها)، وهذه الثغور كانت ذات حيثية كبيرة لأنها تؤمن الحماية لمرافيء بلاد الشام والجزيرة، ولما كانت تُبنى على تخومهما لصد غزوات الروم فقد أطلق عليها الثغور الرومية[٤]. تقع مدينة اورفا جنوب شرق تركيا يحدها من الجنوب سوريا، ومن الشرق مدينتي ديار بكر وماردين، ومن الغرب مدينة غازى عينتاب، ومن الشمال مدينة أديامان (خريطة ١).

اورفا خلال حكم المماليك الجراكسة:

تاريخ مدينة اورفا حافل بالأحداث الجسام؛ إذ كانت للمدينة مكانة عظيمة في ظل المسيحية، وكانت من أشرف المدن عند النصارى بعد مدينتي بيت المقدس وأنطاكية، وكانت إحدى كراسى المطرانية؛ لذا فهى بلا شك تتمتع بمكانة كبيرة حتى بعد أن دخلت في حوزة المسلمين سنة(١٨هـ) في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ظلت تحظى بهذه المكانة، ولهذا السبب حاول البيزنطيون أن يستردوها حتى نجحوا في فرض سيطرتهم على المدينة مع مطلع القرن ٥هـ/١١م إلى أن استردها مرة أخرى عماد الدين زنكى عام ٥٣٩هـ / ١١٤٤م[٥]، والحقيقة أن مدينة اورفا حالها حال سائر مدن الثغور، فقد تعرضت بعد ذلك لعدة صراعات خلال العصر الأيوبي، ووقعت في يد ثلاث سلطات متنازعة: سلطة الصليبين، سلطنة الأرمن، سلطة الحكام المسلمين متمثلين بالبيت الأيوبي الذين كانوا يحكمون ميافارقين وماردين وحصن كيفا والكرك ودمشق وحماة وحمص، وكانوا في نزاع دائم وخلافات مستمرة وتطاحن على السلطة، فلم يقدروا خطورة المغول الذين اصبحوا على ابواب حلب، وبالفعل استطاع هولاكو أن يستغل خلافاتهم فاصطادهم الواحد تلو الأخر وقضى عليهم جميعًا، أمّا المماليك فقد ادركوا خطر المغول وتحركوا تحركات جدية، ولا شك أن الفضل يرجع إليهم في صد هذا الخطر عن العالم الإسلامي[٦].

من المعروف أن الدولة المصرية في عهد المماليك الجراكسة بلغت أقصى اتساع لها خلال القرن ٩هـ / ١٥م، حيث امتدت حدودها الشمالية إلى شمال سوريا وأعالى الفرات وشرق آسيا الصغرى، وكان يسكن بجوار تلك الحدود قبائل التركمان، وكانت تلك القبائل الخاضعة للدولة المملوكية كثيرة التمرد، وقد فرضت الدولة المملوكية سيطرتها على جميع الحدود الشمالية عند ملطية والأبلستين وبلاد دلغادر[٧] وابن رمضان ودولة بنى قرمان وجميعها إمارات امتدت لأطراف مترامية، ونتيجة لهذه السيطرة المملوكية فلقد كانت القبائل التركمانية المجاورة لهذه الدول كتركمان آق قيونلو (قبائل الشاه البيضاء)، وتركمان قراقيونلو (تركمان الشاه السوداء)، ودولة الأتراك العثمانيين على نزاع مستمر مع المماليك[٨]، وقد بدأ هذا النزاع منذ تولى خشقدم الحكم (٨٦٥-٨٧٢هـ/ ١٤٦١-١٤٦٧م)، وذلك لاصطدام مصالح الدولتين في مناطق شرق الأناضول وجنوبه، إذ دأب العثمانيون على التدخل في شؤون بعض الإمارات التي كانت مشمولة بحماية المماليك كإمارتي دلغادر وقرمان[٩]، وقد استمروا في هذا النهج حتى فترة حكم السلطان قايتباى وكان هدفهم القضاء على النفوذ المصرى هناك، بل وصل بهم الأمر إلى مؤازرة الإمارات المعادية للدولة المملوكية ومساندتهم، واحيانا بإثارة حقن الإمارات الموالية لهم، مثلما حدث سنة ٨٨٨هـ / ١٤٨٣م حين تدخل السلطان العثماني في النزاع بين علي دولات أمير دلغادر وبين المماليك، وأمدهم بالجند والعتاد، وفي المجمل العام اتسم عهد قايتباى بالحروب المتكررة مع الإمارات التركمانية في محاولة إخضاعهم[١٠]، ولا شك أن الفضل يرجع إلى السلطان قايتباى

المحمودى في إنهاء فترة تخبط طويلة بين المماليك، وفي ارساء دعائم الأمن والآمان للديار المصرية والشامية وغيرها مما يقع تحت سيادته، وكان قايتباى بعيد النظر حينما أدرك خطورة الثغور الشامية فاعتمد على الأمير يشبك من مهدى الدوادار الذي اتصف بالخبرة وقوة البأس؛ فاستطاع بحنكته وخبرته الاستيلاء على جميع الثغور الشامية وإخضاع حكام الإمارات، وكانت له حروب قاسية مع شاه سوار انتهت بهزيمة الأخير والاستيلاء على قلعة عينتاب[١١] وأضنه[١٢] وطرسوس[١٣].

المنشآت المملوكية بمدينة اورفا:

رُغم أن روائع منشآت المماليك كانت بعاصمتهم القاهرة، فإنهم حرصوا على تشييد المنشآت المعمارية المختلفة في جميع البلدان التي وقعت تحت سيادتهم، سواءً أكانت بلاد الشام أم البلاد الحجازية أم بمدن الثغور، وذلك منذ فترة حكم السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى (٦٥٨ – ٦٧٦هـ) الذي استطاع أن يصل إلى مدن الأناضول الواحدة تلو الأخرى حتى وصل إلى حدود مدينة قيصرى بوسط الأناضول[١٤]، وصولاً للسلطان الناصر محمد بن قلاوون (الفترة الثالثة من حكمه ٧٠٩ – ٧٤١هـ) والسلطان الأشرف شعبان (٧٥٤ – ٧٧٨هـ) ، والسلطان الظاهر برقوق (٧٨٤ – ٧٩١ ثم ٧٩٢ – ٨٠١هـ)، والسلطان جقمق (٨٤٢ – ٨٥٧هـ)، والسلطان الأشرف قايتباى (٨٧٢ – ٩٠١هـ)، والسلطان قنصوة الغوري (٩٠٦ – ٩٢٢هـ)، وتجدر الإشارة هنا إلى أمرين مهمين، أولهما: أن هذه المنشآت كانت تُشيد بشكل مباشر عن طريق السلاطين أنفسهم وأمرائهم، أو عن طريق حكام الإمارات التركمانية التابعين للدولة المملوكية، وثانيهما: أن معظم المنشآت المملوكية الباقية بالأناضول تقع بالجزء الجنوبي، بمدينة عينتاب (غازى عنتاب)، مرعش (كهرمان مرعش)، ملطية (ملاطيا)، أنطاكية، طرسوس، أذنة (أضنة)، خربوط، كلس (كليس)، وبمدينة اورفا (شانلى اورفا) [١٥]. وكما ذكرنا فإن مدن الثغور بشكل عام ومدينة اورفا على وجه الخصوص ذات حيثية وموقع استراتيجي خطير؛ لأنها البوابة الأولى لمدينة حلب[١٦] ومنها لدمشق والقاهرة مما يهدد نفوذ الدولة المملوكية بشكل مباشر، ولقد ادرك هذه الأهمية السلطان الأشرف قايتباى الذي لم تخفى عليه مطامع الصليبيين أو العثمانيين؛ فاهتم اهتمامًا كبيرًا بإنشاء المنشآت الحربية هناك. تضم مدينة اورفا ثلاث عشرة مقاطعة وهى:Siverek (سيفريك)، Viranşehir (فيران شهر)، Ceylanpınar (جيلان بينار)، Hilvan (حلوان)، Haliliye (خليلية)، Eyyübiye (أيوبية)، Harran (حران)، Bozova (بوزوفا)، Karaköprü (كاراكوبرو)، Akçakale (أقجة قلعة)، Halfeti (خالفتي)، Birecik (بيرجيك)، Suruç (سروج) (خريطة ٢).

ضمت مدينة اورفا في مقاطعاتها عدة قلاع أشهرها قلعة اورفا بمركز المدينة، وتطل على بحيرة خليل الرحمن وعين زليخة وهى شديدة التحصين، يحيط بجانبها الغربي والجنوبي خندق عميق منحوت في الصخر، أمّا الجزء الشمالي فهو جزء صخري شديد الانحدار. وقلعة حران بمقاطعة حران وهي شديدة التحصين أيضًا، واشتهرت بتعدد أبوابها كباب حلب، وقلعة الروم بمقاطعة خالفتي، وقلعة

سيفريك بمقاطعة سيفريك، وقلعة وأسوار بيرجيك[١٧]. ولا ريب أن امتلاك اورفا لهذا الكم من الحصون والقلاع يأتي ضمن مهمة تشكيل خط الدفاع الأول عن مدينة حلب؛ بحيث ان كل نيابات الشام وما يتبعها صارت تمتلك قلاعًا وحصونًا بشكل يجعلها مترابطة مع بعضها البعض ضمن سلسلة دفاع مشترك ونظام موحد مرتبط في نيابة واحدة وهي حلب[١٨].

منشآت السلطان قايتباى ببيرجيك اورفا:

	الأثر	الأثر	التاريخ
١	Meydan Kapı	باب الميدان	٨٨٧هـ / ١٤٨٢م
٢	Kule Mescidi	مسجد كوله (البرج)	٨٨٧هـ / ١٤٨٢م
٣	Alaburç Mescidi	مسجد برج العَلا	٨٨٧ : ٨٨٩هـ / ١٤٨٢ : ١٤٨٤م
	————	واجهة أثر مندثر	٨٨٨هـ / ١٤٨٣م
٤	Urfa Kapı	باب اورفا	٨٨٨هـ / ١٤٨٣م
٥	Meçan Kapı	باب ميتچان	٨٨٩هـ / ١٤٨٤م

تقع بلدية بيرجيك Birecik بالجزء الجنوبي الغربي من مدينة اورفا (خريطة ٣)، وهذه المنطقة تحديدًا واحدة من أهم المناطق التاريخية التي احتوت على مجموعة كبيرة من العمائر الإسلامية التي ترجع للعصر المملوكي، ومنها: الجامع المعروف بجامع السوق أو جامع البازار Çarşı Camii الذي شيده السلطان الأشرف شعبان عام ٧٧١هـ/١٣٧٠م[١٩]، وجامع آخر عرف بالجامع الكبير Ulu cami قد شيده أيضًا السلطان الأشرف شعبان على يد نائبه أيدمر الأنوكى عام ٧٦٦هـ/١٣٦٤-١٣٦٥م، وكان للجامع نص تأسيس مذكور فيه اسم السلطان الأشرف شعبان وتاريخ الإنشاء لكنه اندثر[٢٠]، ومجموعة كبيرة من الجوامع والمساجد والخانات والحمامات والأضرحة التي يرجع تاريخها إلى فترات مختلفة (جدول ١).

الأسوار وما يتصل بها من أبواب ومساجد:

أولاً: الأبواب:

تقع القلعة بالجزء الجنوبي الغربي للمدينة بمنطقة بيرجيك Birecik، وتعرف باسم القلعة البيضاء نسبة لصخور التل التي بنيت عليه الضاربة للبياض[٢١]، بنيت على تلة مرتفعة على الجهة الشرقية لنهر الفرات، ويزيد من تحصين القلعة والأسوار انها تصل إلى ٣٠ و٤٠ مترًا [٢٢](لوحة ١-٢). تذكر العديد من المراجع أن تاريخ بناء القلعة قديم إلا أنها مرت عليها عدة تجديدات وترميمات خلال العصر السلجوقي، الأيوبي، والمملوكي، ويمكن القول بإن القلعة بشكلها الحالي نتيجة مجموعة من التجديدات والإضافات[٢٣]. أما أسوار المدينة التي كانت تحيط بها فلقد تبقت منها اجزاء متفرقة في حين اندثرت اجزاء أخرى (لوحة ٣)، ومن خلال الأجزاء المتبقية نستنتج أنها كانت ذات تخطيط سداسي

تواجه الأبراج فيه بعضها البعض[٢٤]، وهذه الأسوار كان يتصل بها مجموعة من الأبواب والأبراج، كباب الميدان **Meydan Kapı**، وباب باغلار **Bağlar Kapı**، وباب اورفا **Urfa Kapı**، وباب ميتچان **Meçan Kapı**، وقد اندثر باب باغلار وباب الميدان، وتعتبر اسوار بيرجيك وقلعتها من أهم الأعمال الحربية التي شيدها السلطان قايتباى في جميع أعماله التحصينية على طول نهر الفرات، وأن موقع الأسوار والأبراج وارتفاعهما المبالغ فيه وسمك الجدران الكبير أمور ترمى إلى أهمية دورها الدفاعي، وتؤكد على ما ذكرته المصادر التاريخية من اهتمام قايتباى بتحصين مدن الثغور[٢٥].

١- باب اورفا ٨٨٨هـ / ١٤٨٣م Urfa Kapı:

يقع بالسور الشرقي بمقاطعة بيرجيك، وهو الباب الوحيد المتبقي بأجزائه كاملة وبحالته الأصلية[٢٦]، وتُشير النصوص التأسيسية والرنوك الموجودة على الباب أن السلطان الأشرف ابو النصر قايتباي[٢٧] شيد الباب في سنة ٨٨٨هـ / ١٤٨٣م على يد نائب منطقة النبره يونس الشريفي، وقد شيد الباب بالحجر المنحوت كسور المدينة والقلعة[٢٨].

الوصف العام:

يتبع الباب طراز الأبواب ذات الأبراج المربعة، وهو عبارة عن فتحة باب مستطيلة يكتنفها برجين مربعين المسقط، ويتصل بالباب من جهته الغربية بمسجد يعرف بمسجد كوله **Kule**، وهو من ضمن أعمال السور ويرجع لنفس المنشأ (شكل١).

الوصف:

يكتنف فتحة الباب برجين مربعين يرتفعان عن مستوى فتحة الباب ويبرزان عنها، وينتهيان من اعلى ببيوت مزاغل (أبدان حجرية تحتوى فتحة المزغل)، ويدور بوسط الابراج شريط كتابي طويل يمتد من البرج المربع الأول ويستمر على فتحة الباب وصولًا لنهاية البرج المربع الثاني (لوحة ٤)، مكتوب بخط الثلث، ونصه :

(بسم الله الرحمن الرحيم أمر بانشائه مولانا السلطان الأعظم الملك العظيم قامع انساب الباغين بأوتاد عدله وعاقر هموم القاصدين بعقاب فضله السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى عامر غامر البلاد بديانته وبذله محيي السنة المحمدية بقوله وفعله رافع لواء الإسلام بخفض المظالم وقامع عماد الطغيان بردع كل الظالمين حسن منفق في ابنية الطاعات ومنشىء الحصون لحفظ امان المسلمين وصون عرض المسلمات افضل ملوك عصره على الإطلاق وأقومهم في ذات الله بلا شقاق سيف الله المرهف ناصر الدين المحمدي المشرف السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباى عز نصره وكان انتهاء البناء في هذا السور المبارك إلى هذا المكان في رابع عشر من رمضان المعظم سنة ثمان وثمانين وثمانماية من الهجرة) [٢٩]. ويعلو الشريط الكتابي مجموعة من الرنوك الكتابية (عددها سبعة رنوك) ذات ثلاثة شطب:

ابى النصر قايتباى

عز لمولانا السلطان الملك الأشرف

عز نصره

يتوسط واجهة المدخل عقد مدبب متسع، بداخله فتحة باب مستطيلة الشكل يعلوها لوحة مستطيلة الشكل بهيئة خرطوش ينتهى عند طرفية بوردة ثلاثية، نقش بداخله النص التأسيسي المكتوب بخط الثلث في سطرين: (لوحة ٥)

١- بسم الله الرحمن الرحيم امر بعمارته مولانا السلطان الملك الأشرف ابو النصر

٢- قايتباى عز نصره بتولى الفقير إلى الله تعالى يونس الشرفي نائب النبره بلطف الله

يعلو العقد المدبب تسع فتحات (السقاطات) تتخذ أشكال عقود زخرفية مفصصة ومشعة ومدببة ترتكز على كوابيل حجرية (لوحة ٦-٧)، تؤدى فتحة الباب الى دركاة مربعة المساحة بضلعيها الشمالي والجنوبي يوجد فتحتان معقودتان، تؤدي الفتحة الشمالية منهما إلى حجرة مربعة المساحة مغطاة بقبو ذي قطاع مدبب الشكل، أمّا الفتحة الجنوبية فتؤدى إلى ممر مستعرض يؤدى إلى ايوان مستطيل غُطي بقبوين.

الإيوان:

مستطيل المساحة ترتفع أرضيته عن دركاة المدخل، يغطيه قبوان القبو الداخلي عبارة عن قبو متقاطع، والخارجي قبو ذو قطاع مدبب الشكل (لوحة ٨)، ويوجد بالجهة الجنوبية للإيوان دخلة مستطيلة غير نافذة، ومن الجهة الشرقية توجد فتحة تؤدى إلى ممر بسيط يؤدي بدوره إلى حجرة مربعة (لوحة ١٠).

الحجرة المربعة:

تمثل داخل البرج الذي يقع على يسار البوابة، وهي حجرة مغطاة بقبو متقاطع فتح بجهتها الشمالية دخلة مستطيلة تنتهي بفتحة مزغل، ومن جهتها الشرقية توجد دخلة مستطيلة (لوحة ٩).وكما ذكرنا يجاور الباب من الجهة الشمالية مسجد كوله (مسجد البرج)، وهو أحد المساجد المتصلة بالأسوار.

٢- باب ميتچان ٨٨٩هـ / ١٤٨٤م Meçan Kapı: (لوحة ١١)

يقع الباب بالجزء الجنوبي الشرقي من سور المدينة، وقد اندثرت معظم أجزائه ولم يتبق منه سوى جزء بسيط من الواجهة الشمالية، وكان الباب ذا مسقط على هيئة حرف L معكوس له ضلعان ضلع شمالي، وآخر غربي (شكل ٣)، ويبدو من صورة قديمة للباب أن كليهما من ضلعيه الشمالي والغربي بهما فتحة باب مستطيلة (شكل ٤-٥) تفضى إلى الداخل (لوحة ١٢). وقد اندثر الضلع الغربي بأكمله، أمّا الضلع الشمالي فلم يتبق من فتحة الباب سوى ارتفاع مترين أو أقل[٣٠] وجزء من القبو

الداخلى والشريط الكتابي (لوحة ١٣)، وقد كان في السابق يصل إلى ستة أمتار[٣١]، يعلو فتحة الباب نص تأسيسي يمتد إلى باقى الواجهة، مكتوبًا بخط الثلث.

أعلى فتحة الباب:

(بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشائه مولانا السلطان المقام الأعظم الملك المعظم سلطان الإسلام والمسلمين محيي) (لوحة ١٤).

على الواجهة:

(العدل فى العالم خادم الحرمين والقبلتين الحاج إلى بيت الله الحرام سيف الله المرهف مولانا السلطان الملك الأشرف ابي النصر قايتباى عز نصره بتولى المقر الشرفي يونس نائب النبرة عفى الله عنه وكان الفراغ الى هذا المكان في العشر الآخرة سنة تسع وثمانون وثمانماية)[٣٢] (لوحة ١٥).

٣- باب الميدان ٨٨٧هـ / ١٤٨٢م Meydan Kapı: (مندثر)

كان يقع إلى الشرق من مسجد بُرج العلا، لم يبق من الباب أى أثر يوضح تخطيطه الذي كان عليه سوى جدار حجرى واحد، عبارة عن فتحة باب مستطيلة كان يعلوها نص تأسيسي ومعقودة بعقد نصف دائري يعلوها اربع فتحات مزاغل (لوحة ١٦). استطاع اوبنهايم قراءة الكتابات التي كانت موجودة قبل أن يندثر الباب[٣٣]، وهي:

(بسم الله الرحمن الرحيم ..... عز لمولانا السلطان الأعظم سيف الله الامير المرهف الملك الأشرف ابو النصر قايتباى بتولى الفقير إلى الله تعالى ...(يونس)[٣٤]في شهر جمادى الآخر سنة سبع وثمانين وثمانمائة، وفي موضع أخر (اللهم وأدم العز لمولانا السلطان الملك الأشرف ابو النصر قايتباى في شهر جمادى الآخر سنة سبع وثمانين وثمانمائه[٣٥].

٤- واجهة أثر مندثر ٨٨٨هـ / ١٤٨٣م:

من أعمال قايتباى ايضًا منشأة غير معروف إذا ما كانت مسجدًا أم بابًا من أبواب السور، وهي عبارة عن واجهة حجرية تقع أسفل قلعة بيرجيك (لوحة ١٧)، لها فتحة باب مستطيل يعلوها عتب نُفذ داخله نص تأسيسي مكتوب بخط الثلث:

(أمر بعمارته مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى عز نصره سنة ثمان وثمانين وثمانمايه ....) (لوحة ١٨)، ثم يعلوها نفيس وعقد عاتق، وتنتهى كتلة المدخل بعقد مدبب، يقع على يمنته ويساره اثنان من الرنوك المركبة، لكل منهما ثلاثة شطب، العلوى والسفلى عبارة عن رمز الكأس والبقجة، والشطب الأوسط للرنك الأيمن يحمل عبارة "عز لمولانا السلطان"، وتكملتها بالرنك الواقع على يسار الباب "الملك الأشرف قايتباى".

ثانياً المساجد:

اهتم السلطان قايتباى بإنشاء المساجد ضمن ما انشأه من تحصينات واعمال حربية[٣٦]، وكانت هذه المساجد ملحقة بأعمال سور وأبراج بيرجيك بأورفا، ورغم صغر مساحتها إلا أن عناصرها المعمارية فضلاً عن وجودها داخل أبراج حربية قد أكسباها طابعًا خاصًا.

١- مسجد برج العُلا Alaburç Mescidi:

يقع مسجد برج العُلا بالجزء الجنوبي الغربي من الأسوار المحيطة ببلدية بيرجيك بمنطقة باب الميدان حيث يعد امتدادًا لباب الميدان (المندثر)، وكان نهر الفرات يجرى أمام البرج مباشرة إلا أنه مع تحول النهر أصبح البرج يُشرف على طريق يُعرف بشارع تموز (لوحة ١٩). شيده نائب النبرة الأمير يونس الشرفي بأمر من السلطان الأشرف قايتباى وغير معلوم التاريخ على وجه التحديد إلا أنه على الأرجح قد شيد ضمن ما شيده الأمير يونس الشرفي فيما بين الأعوام ٨٨٧ : ٨٨٩هـ / ١٤٨٢ : ١٤٨٤م[٣٧]، وقد سُمى ببرج العُلا أو العَلا والبرج العالى لأنه كان مرتفعًا ومكونًا من طابقين، وحاليًا لم يتبق منه سوى طابقه الأول وهو المسجد الذي يتصل بالسور من جهته الشرقية، وقد تم ترميمه وتحويله إلى متحف أثنوغرافي في عام ٢٠٠٦م[٣٨] (شكل ٦).

تبلغ مساحة المسجد الخارجية حوالى ١٠,٨٠م× ١١,٣٠م[٣٩] مبنية بالحجر المصقول، تمثل الواجهات الشمالية والجنوبية والغربية واجهات مستقلة، في حين أن الشرقية منها تتصل بالسور:

- الوصف من الخارج:

-الواجهة الشمالية:

يقع بطرفها الغربي فتحة باب مستطيلة، ويبدو من التخطيط (شكل ٧) وصورة قديمة للواجهة أنها كانت تتصل بمساحة شبه مستطيلة من أعمال السور ولها فتحة بجهتها الشمالية (لوحة ٢٠)، أما حاليا فهي غير متصلة بأية أجزاء من السور وتنتهى من أعلى برواشن ذات سقاطات ومزاغل محمولة على كوابيل يعلوها اربع نوافذ (لوحة ٢١).

-الواجهة الغربية:

تمتاز هذه الواجهة بوجود نافذة كبيرة متسعة ليست على غرار ما هو موجود من نوافذ مزغلية موزعة على الواجهات؛ ويعزو السبب في ذلك إلى أن هذه الجهة كانت مطلة على نهر الفرات (لوحة ٢٢)، النافذة موضوعة داخل دخلة غائرة قليلاً معقودة بعقد مدبب يجاورها على يمنتها فتحة مزغل معقودة بعقد زخرفي، يعلوها رنوك كتابية تحمل اسم السلطان قايتباى، وتنتهى الواجهة من اعلى بشرفات حربية لها مزاغل ومرتكزة على كوابيل حجرية، وقد رممت الواجهة وزيد في جزئها العلوي ليشتمل على أربع نوافذ ذات عقود زخرفية، كما ويلاحظ أن فتحة النافذة الكبيرة قد فقدت عقدها المدبب (لوحة ٢٣).

-الواجهة الجنوبية:

تمثل جدار القبلة من الخارج، يتخللها من أسفل ثلاث فتحات مزاغل يعلوها عقود زخرفية يدور حولها إطار من حجر الأبلق، ويعلوها ثلاثة رواشن ترتكز كل منها على ثلاثة كوابيل حجرية، ويقع بين الرواشن الحجرية أربع نوافذ معقودة بعقود منكسرة، ويتوسط الواجهة عدد من الرنوك الكتابية الخاصة بالسلطان قايتباى (لوحة ٢٤).

-الواجهة الشرقية:

تتصل بالسور الحربي، وكانت تشتمل على بعض الرنوك التي طمست معالمها (لوحة ٢٥).

- الوصف من الداخل:

يتم الدخول إلى المسجد عن طريق فتحة باب صغيرة تقع بالطرف الشمالي من الواجهة الشرقية، تفضى إلى دركاه ذات دهليز منكسر مغطى بقبو ذي قطاع مدبب الشكل يؤدى إلى قاعة البرج، والقاعة تتوسط البرج تقريبا وهي مربعة المساحة يغطيها قبو متقاطع، وتفتح من جهتها الغربية بإيوان مستطيل معقود بعقد مدبب يتوسط جداره الغربي فتحة نافذة كبيرة كانت تطل على النهر كما سبق وصفها من الخارج، وبطرفه الشمالي ممر بسيط ينتهى بفتحة نافذة تفتح على الجهة الشمالية، وعلى الأرجح أنها كانت فتحة باب ثم سُدت؛ وذلك لوجود قبة ضحلة تعلوها (لوحة ٢٦)، كما يوجد بالجهة الشمالية للقاعة فتحتان تؤديان إلى دهليز بسيط مغطى بقبو ذي قطاع مدبب، أمّا الجهة الجنوبية للقاعة فتفتح على إيوان معقود يتصدر جهته الجنوبية المحراب، ويقع بطرفه الشرقي والغربي فتحتان مستطيلتان تؤديان إلى حجرتين رماية، وهذه الحجرات مستطيلة المساحة مغطاة بقبو مدبب ولكل منهما فتحة مزغل تفتح عالجهة الجنوبية، بالإضافة إلى فتحة مزغل بالجهة الشرقية للحجرة الشرقية، وفتحة مزغل تفتح بالجهة الغربية للحجرة الغربية، وقد كانت هذه المزاغل مسؤولة عن الدفاع عن هذه الجهات. وقد كان للبرج طابق ثانٍ (مندثر) لم يتبق منه سوى بعض أحجاره، ويوجد بالجهة الشرقية سُلم متهدم كان يؤدى إليه (لوحة ٢٧).

المحراب:

محراب البرج بسيط للغاية عبارة عن حنية مجوفة فتح بحنيتها فتحة مزغل (لوحة ٢٨)، لتشكل هي والفتحات المزغلية الخاصة بحجرات الرماية التى تجاور المحراب ثلاث فتحات مزغليةبالجهة الجنوبية، ويعلو المحراب خرطوش كتابي مستطيل الشكل ينتهى طرفية بورقة نباتية ثلاثية (هي الزخرفة الوحيدة الموجودة) وقد كتب بداخله "بسم الله الرحمن الرحيم وأنّ المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا"[٤٠] (لوحة ٢٩).

٢- مسجد البرج (كوله) Kule Mescidi:

يقع وسط بيرجيك شمال باب اورفا مباشرة، تم بناؤه عند بناء الأسوار وباب اورفا بأمر من السلطان قايتباى سنة ٨٨٧هـ / ١٤٨٢م [٤١]، وقد رممت إدارة مديرية شانلى اورفا المسجد والمنبر وأُضيفت له

ميضأة بالركن الجنوبي الشرقي عام ١٩٩٣م[٤٢] (لوحة ٣٠). ويبدو من صور الترميمات التى أجرتها مديرية آثار شانلى اورفا أن المسجد تطلب جهدا كبيرا لإزالة الأنقاض وإصلاح ما خرب منه، وفي نفس الوقت المحافظة على شكله وتخطيطه الأصلي إلى حد كبير(لوحة ٣١).

وشُيّد المسجد داخل برج مستطيل المسقط يتخذ شكل الإيوان، مغطى بقبو متقاطع وقبوين مدببين، ويتم الدخول إلى مسجد البرج عن طريق فتحة باب مستطيلة معقودة بعقد مدبب، يجاورها نافذة بالجهة الغربية، ويعلوها نافذة أخرى حديثة فُتحت اثناء الترميمات ولم تكن موجودة بالتخطيط الأصلى للمسجد (لوحة٣٠– ٣٢)، ويقابل فتحة مدخل المسجد الضلع الشرقى وقد فُتح به فتحة نافذة مستطيلة بداخلها فتحة مزغل (لوحة ٣١– ٣٣).أمّا الضلع الجنوبي لمسجد البرج فيُمثل جدار القبلة وقد فتح به دخلتان غائرتان معقودتان بعقود مدببة ومفتوحتان بنوافذ على الخارج، تقع بينهما حنية المحراب، وهى حنية مجوفة بسيطة أُضيف لها في أثناء الترميمات كتابات قرآنية (كلما دخل عليها زكريا المحراب) (لوحة ٣٤).

التخطيط والعناصر المعمارية والفنية بالمنشآت موضع الدراسة:

أولاً: التخطيط:

من المعلوم أن السلطان قايتباى كان له اهتمام خاص بالعمارة الحربية، تجسد ذلك في القلاع والثغور الحربية التي شيدها بمصر وتحديدًا بمدينة القاهرة والأسكندرية ورشيد، وأعمال التجديد والإصلاح التي شملت الأسوار والأبواب الحربية كباب القرافة، وأجزاء عديدة من قلعة الجبل ولا يزال باب المدرج بالقلعة يحتفظ بنص تأسيسي يشير إلى ذلك، ولم تكن مصر فقط محط أنظاره في انشاء وتعمير المنشآت الحربية، فلقد حظيت الولايات التي خضعت لحكمه بنفس درجة الاهتمام ففي سنة ٨٨٧هـ أمر بعمارة سور البيرة (رام الله فلسطين)، وفي سنة ٨٩٤هـ قام بإصلاح سور قلعة سيس(تقع بأضنة حاليا)[٤٣]، والترميمات والحصن المهيب الذي أقامه فوق مدخل قلعة حلب[٤٤]، يُضاف إلى ذلك أعماله الباقية ببيرجيك بأورفا، ورغم قلة المصادر والمراجع التي تناولت هذه الأعمال الحربية والتي يتعذر معها العثور على تخطيط واضح يبين شكل قلعة بيرجيك وأسوار المدينة[٤٥]، فإنه من خلال الأجزاء الباقية وبعض الحفريات يمكن استقاء بعض المعلومات عن القلعة، فتاريخ القلعة ضارب في القدم من أيام السلوقيين وقد جددت أكثر من مرة، وأهم مراحل تجديدها وإصلاحها هي مرحلة التجديد المملوكي في الفترة من ١٢٧٧– ١٤٨٤م؛ حيث الإصلاحات الأكثر شمولًا والتي لا تزال عمائرها باقية حتى الآن.

أ– الأسوار والأبراج:

بنيت القلعة على تل صخرى مرتفع[٤٦] وأحيط بها سور المدينة، ومع الأسف فإن معظم اجزاء القلعة والسور قد تهدمت، لم يتبق منها سوى أعمال قايتباى المتمثلة في الأبواب (باب أورفا، باب ميتجان،

باب الميدان) ومسجد كوله، ومسجد برج العلا، بالإضافة إلى عدد من الأبراج (غير مؤرخة) [٤٧] التي يُمكن من خلالها تبين شكل الأبراج التي كانت تتخلل السور؛ فمن الأبراج برج مستطيل غُطى بأقبية ذات قطاع مدبب الشكل، وفتح به عدد من الدخلات المستطيلة (شكل ٩)، وبرج آخر متعدد الأضلاع له خمسة أضلاع تبرز عن سمت السور، فُتح في الثلاثة أضلاع الأمامية ثلاث فتحات مزاغل، وقد فتح البرج من جهته الشمالية الغربية بفتحة تفضى إلى داخل المدينة (شكل ١٠). والملفت للانتباه أن قلعة بيرجيك يحيطها سور واحد، وإذا ما قارنا بينها وبين قلاع السلطان قايتباى سواءً أكانت التي شيدها أم التي قام بتعميرها لوجدنا أن معظمها محاط بسورين، فقلعة قايتباى بالأسكندرية محاطة بسورين كبيرين من الأحجار الضخمة (شكل ١١)، وهذه الأسوار تتفق والمظهر الحربي للقلعة، والسور الخارجي يحيط بالقلعة من الجهات الأربع، وهو سور ضخم تتنوع سماكته من ضلع لآخر، ويتخلله أبراج مستديرة بارزة، أمّا الأسوار الداخلية فمبنية بالحجر ويفصلها عن الأسوار الخارجية مسافة تتراوح بين خمس وعشر امتار في بعض المواقع[٤٨].أمّا قلعة عينتاب والتي لا تزال نقوشها ورنوكها باقية وتُشير إلى المشروع الضخم الذي قام به السلطان قايتباى، الذي شمل السورين العلوى والسفلي مع أبراجهما وبدناتهما؛ فالقلعة يحيط بها سور علوى وسور سفلي، العلوى يأخذ الشكل شبه الدائري وفيه ١٢ برج تتنوع تخطيطاتهم بين المستطيل والمربع وخماسي الأضلاع، وأما السفلي فيرتفع أسفل سفح القلعة وفيه أبراج ومرامى سهام ويحيط بالقلعة خندق[٤٩]. ويُلاحظ أن قلعة بيرجيك وأسوارها قريبة الشبه إلى قلعة عينتاب من حيث تنوع شكل الأبراج ما بين أبراج مربعة ومستطيلة وخماسية الأضلاع، في حين كانت الأبراج المستديرة هي النمط الأكثر شيوعًا بمصر، كما أن الرواشن ذات السقاطات والمزاغل التي التصقت بالأبراج من العناصر المعمارية التي ميزت أبراج قلعة عينتاب وبيرجيك، وحيث إننا بصدد الحديث عن الأبراج فتجدر الإشارة إلى أن مسجد كوله و مسجد برج العلا اتخذا صفة الأبراج الحربية أيضًا، وقد اقترن اسمهما بلفظة البرج؛ فمسجد برج العلا (شكل ٦-٧) بدهاليزه وفتحات مزاغله نموذج بديع للمساجد التي اتخذت صفة الأبراج، وهو يشبه مسجد قلعة قايتباى في شكل الإيوانات المقباة بعقود مدببة وفي الملحقات التي تخرج من أذرع المساحة الوسطى، وإن كان مسجد قلعة قايتباى قد بني على نظام المدارس المملوكية (التخطيط المتعامد) (شكل ١٢) والحصن الداخلى بقلعة قايتباى بالأسكندرية يتشابه في تخطيطه الخارجي وبرجه الذي شيده على بر مدينة رشيد الغربي من حيث التخطيط المربع والأبراج الركنية المحيطة به وهو الأسلوب الذي اعتمده السلطان قايتباى في معظم منشآته الحربية بمصر من قلاع وطوابي وأبراج تحصينية (شكل ١٣)[٥٠]، أمّا مسجد برج العلا اعتمد في تخطيطه على القاعة الوسطى التي تحيط بها الملحقات، وتوزيع حجرات الرماية السفلية التي تفتح على خارج الأسوار بفتحات مزاغل منظمة ومتقاربة، وهذا الجزء من التخطيط يُمكن ملاحظة انتشاره بكثرة في أبراج قلعة الجبل الأيوبية كبرج الصفة وكيركليان (شكل ١٤).

ب- الأبواب:

حظيت مدينة شانلي اورفا بنهضة عمرانية كبيرة في الأبنية الحربية الدفاعية، من أسوار شاهقة الارتفاع تحيط بالمدينة وتحيط بالقلاع، وأبراج حصينة متعددة التخطيطات، ومجموعة من الأبواب المنيعة الضخمة التي يسرت الاتصال بين داخل المدينة وخارجها وساهمت بشكل كبير في إكمال منظومة الدفاع التي اعتمدها السلطان الأشرف قايتباى، ومن حسن الحظ أن بقي لنا من هذه الأبواب بابان على درجة كبيرة من الأهمية؛ وذلك لأسباب ثلاثة: أولها من الناحية التاريخية أن كليهما من منشآت السلطان قايتباى الأمر الذي يؤكد اهتمام سلاطين الدولة المملوكية- وبالأخص السلطان الأشرف قايتباى - بمدن الثغور ومدن الحدود الشامية، وتأكيدًا على دورهم الكبير في الدفاع عن الدولة الإسلامية في تلك الفترة، وثانيها من الناحية الأثرية أن أبواب اورفا تُضاف إلى مجموعة الآثار المعمارية الحربية التي أنشأها قايتباى كقلعة الأسكندرية وحصون رشيد ٨٧٦هـ/١٤٧٢م ودمياط وما شيده بقلعة حلب ٨٧٧هـ / ١٤٧٢م، وقلعة عينتاب ٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م الأمر الذي يمكن اعتباره سجلًا غنيًا لهذه النوعية من المنشآت، وثالث الأسباب أن البابين من الناحية المعمارية لهما تخطيط معماري متنوع ومختلف، فباب اورفا ٨٨٨هـ / ١٤٨٣م يتبع طراز الأبواب ذات الأبراج المربعة؛ فالبوابة يكتنفها برجان مربعان يبرزان عن سمت الواجهة وقد زود كلاهما بالرواشن ذات السقاطات، ويُلاحظ من التخطيط أن البرج على يسار البوابة قد زيد في بدنته وحول لمسجد (مسجد كوله)، ويغطى البرجين أقبية متقاطعة، ولقد انتشر طراز الأبواب ذات الأبراج المربعة في عمارة مصر والشام، ففي مصر ظهرت في باب النصر ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م[٥١]، وفي بلاد الشام وجدت بقلعة حلب وكذلك بقلعة دمشق[٥٢].

وباب ميتچان ٨٨٩هـ / ١٤٨٤م يُمثل طرازًا فريدًا لتخطيط المداخل المنكسرة[٥٣]، إذ إن الشائع في تخطيط المداخل المنكسرة عادة ما يكون عبارة عن برج مربع يحتوى بداخله على الممر المنكسر، إلا أن باب ميتچان لا يكتنفه أية أبراج وإنما هو عبارة عن كتلة المدخل التي ينحرف الداخل منها في زاوية قائمة ليواجه جدارا على شكل حرف L معكوس، فيتجه منه يسارًا للداخل (شكل ٣). وقد عرف المسلمون المداخل المنكسرة لأول مرة في بناء بغداد أيام أبي جعفر المنصور، وبعدها ظهر المدخل المنكسر في قلاع دمشق وحلب ومنها انتقل إلى عدة بلدان[٥٤].

ثانياً: العناصر المعمارية:

الرواشن ذات السقاطات والمزاغل:

الرواشن بمعنى الكوة أو النافذة أو الشرفة، وهي من الفارسية روزن، ويقصد بها في العصر المملوكى الخرجات التي تُستخدم للبروز بالعمارة وزيادة سطح الأدوار العُليا، وتطل على الشارع وواجهات الدخول[٥٥]، وقد استخدمت هذه الرواشن في الأبراج الحربية والقلاع وزودت بوسائل دفاعية مهمة كفتحات السقاطات للإلقاء الزيوت الحارقة، وفتحات المزاغل لرمي السهام.

وقد كان أول استخدام للرواشن ذات السقاطات في بوابة قصر الحير الشرقي ببلاد الشام في سنة ١١٠هـ/ ٧٢٩م، واستخدمت فيما بعد في بوابة النصر بالقاهرة ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م، ثم استخدمت بعد ذلك بكثرة في الحصون الشامية في العصر الأيوبي[٥٦]، والرواشن موضع الدراسة من الحجر المصقول وقد وجدت بباب اورفا ومسجد برج العلا، وكانت عبارة عن رواشن تتوسط الواجهة ورواشن ركنية مزدوجة تتصل بضلعين، واتسمت هذه الرواشن بأنها محمولة على ثلاثة كوابيل أو خمسة كوابيل مفصصة الشكل (لوحة ٣٥)، ويماثلها في هذا الشكل رواشن قلعة عينتاب التي وزعت على أبراج القلعة بسوريها السفلي والعلوي (لوحة ٣٦)، ورواشن الأبراج الدفاعية بقلعة دمشق (لوحة ٣٧).

العقود:

استخدم المعماري أنواع مختلفة من العقود بعمائر السلطان قايتباى بمدينة شانلى اورفا، ويعد العقد المُدبب هو الأكثر انتشارًا بينها، وذلك على غرار سائر العمائر الحربية بشتى البلدان الإسلامية، وقد وجد يتوج فتحة باب اورفا (شكل ٢)، والدخلات الموجودة بالحجرة المربعة للباب ذاته، وجميع الدخلات والنوافذ الموجودة بجامع كوله معقودة بعقود مدببة، كما أنه وجد يعلو فتحة باب واجهة الأثر المندثر، أمّا العقد حدوة الفرس فيمكن ملاحظة وجوده على الواجهات الخارجية لمسجد برج العلا وكان استخدامه بغرض زخرفي بحت ولا يُمثل أية أهمية معمارية، والعقد النصف دائري وجد يعقد طاقية المحراب بمسجد كوله، وبشكل عام فإن العقود بمنشآت قايتباى بتشانلي اورفا كانت بسيطة تخلو من الزخرفة والتعقيد.

ثالثًا العناصر الفنية:

اهتم المماليك اهتمامًا بالغًا بإضافة الطابع الزخرفي إلى عمائرهم، حتى الحربية منها، وتمثل ذلك في الرنوك بأنماطها المختلفة، وبعض العناصر الزخرفية البسيطة التي وجدت تزين المداخل وواجهات الرواشن وبعض العناصر المعمارية[٥٧].

الرنوك والنقوش الكتابية:

شهدت الرنوك انتشارًا واسعًا في العصر المملوكي؛ وذلك لتعدد الوظائف والامتيازات والتشريفات التي حظي بها الأمراء والسلاطين، وقد عُرف من الرنوك المصورة حوالى خمسين رنكًا، فضلًا عن الرنوك الكتابية التي سجلت أسماء السلاطين وألقابهم وكانت مصحوبة ببعض العبارات الدعائية، وقد انتشرت الرنوك المركبة منذ القرن ٩هـ / ١٥م وكانت تُشير إلى جماعة من المماليك أو الفرق العسكرية التي تنسب إلى أحد السلاطين كالظاهرية برقوق، المؤيدية، الأشرفية قايتباى[٥٨]، ومن المعروف أن الرنوك المركبة قد تطورت بشكل كبير في عهد السلطان قايتباى (٨٧٣-٩٠١هـ / ١٤٦٨ – ١٤٩٦م) وتدرجت حتى أصبح الرنك يتضمن تسعة رموز[٥٩].

ولقد وصلنا من منشآت السلطان قايتباى باورفا حوالي ١٥ رنكًا موزعين على ثلاث منشآت، بواقع ٧ رنوك على باب اورفا، و٦ رنوك على مسجد برج العلا، ورنكان على الواجهة المتبقية التي تحمل اسم السلطان قايتباى، وتمتاز هذه الرنوك بأنها تتنوع بين الرنوك الكتابية والرنوك الوظيفية المركبة (الرمزية) أيضًا.

أولاً: الرنوك الكتابية:

ظهر الرنك الكتابي الكامل بدءً من عصر المماليك الجراكسة وتحديدًا على عمائر وتحف أول سلاطينهم وهو السلطان الظاهر برقوق(فترة حكم) وصارت الكتابات موزعة على شطب الرنك الثلاثة على النحو[٦٠]:

اسم السلطان

عز لمولانا السلطان الملك

عز نصره

ولقد اتخذت رنوك السلطان الأشرف قايتباى هذا الشكل وانتشرت على معظم عمائره سواء بمصر أو بلاد الشام، وظهر لرنوكه الكتابية ثلاثة طرز[٦١]:

الطراز الأول "التقليدي"	**الطراز الثاني** "اختصت به التحف المعدنية"	**الطراز الثالث** "على النقود"
ابو النصر قايتباى عز لمولانا السلطان الملك الأشرف عز نصره	قايتباى الملك الأشرف عز نصره	السلطان الملك الأشرف ابو النصر قايتباى عز نصره

يوجد على المنشآت موضع الدراسة ١٣ رنكًا كتابيا للسلطان قايتباى، منهم ٧ رنوك على باب اورفا، وهى رنوك دائرية الشكل، مقسمة إلى ثلاثة شطب على النحو التالى (شكل ١٥):

(ابي النصر قايتباى)

(عز لمولانا السلطان الملك الأشرف)

(عز نصره)

وهذه الرنوك موزعة بواقع رنكًا واحدًا على البرج المربع على يمين المدخل، ورنكًا على البرج المربع على يسار المدخل، وثلاثة رنوك على واجهة المدخل، ورنكان على واجهات الأبراج من الخارج (لوحة ٣٨)، أمّا الرنوك الكتابية الموجودة على مسجد برج العُلا فيبلغ عددها ٦ رنوك موزعة على الواجهات، وتتخذ نفس شكل الرنوك الكتابية على باب اورفا (لوحة ٣٩).

ويُمكن القول إن معظم الرنوك الكتابية الخاصة بالسلطان الأشرف قايتباى والموجودة بمصر وبلاد الشام وما يجاورها تتخذ نفس الصيغة ذاتها والشكل ذاته تقريبا مع اختلافات زخرفية بسيطة أو اختزال

الشطب الأوسط لـ (السلطان الملك الأشرف) دون كلمة عز لمولانا؛ وذلك لضيق المساحات احياناً، أو الاكتفاء بكلمة قايتباى فقط بالشطب العلوى كما وردت على رنكه الموجود بمئذنة الجامع الأموى بدمشق (شكل)، وإذا ما قارنا بين رنوك قايتباى الكتابية الموجودة على الأعمال الحربية ببيرجيك اورفا وبين رنوكه الكتابية الموجودة بقلعة حلب [٦٢] نجد أنه:

من حيث العدد: تقريبًا العدد متقارب فرنوك قايتباى بأورفا تبلغ ١٥ رنكًا موزعين على ٣ منشآت، ورنوكه الباقية بمدينة حلب حوالى ١٤ رنكًا موزعين على ٦ منشآت، ٥ منهم بقلعة حلب وحدها[٦٣].

من حيث توزيع الرنوك بالمنشأة الواحدة: نجد أن رنوك اورفا قد تنوعت أماكنها على الواجهات جميعها، في حين أن الخمسة رنوك الموجودة بقلعة حلب تقع جميعها في قاعة العرش بواقع رنكان على واجهة البرج الرئيسي وثلاثة داخل القاعة.

من حيث الصيغة التي وردت بالرنوك: رنوك اورفا اتخذت صيغة واحدة وهى التقليدية، أمّا رنوك قلعة حلب فتنوعت في صيغتين[٦٤]:

الأولى	الثانية
ابو النصر قايتباى عز لمولانا السلطان الملك الأشرف عز نصره	قايتباى السلطان الملك الأشرف عز نصره

ثانيًا الرنوك المركبة:

وهي الرنوك الوظيفية التي ظهر عليها أكثر من شعار أو رمز يُشير إلى وظيفة أو منصب معين، كالجمع بين رمز الكأس والبقجة[٦٥]، وهو رنك وجد على المدخل الباقى من عهد قايتباي والذي يقع أسفل قلعة بيرجيك باورفا، والرنك من ثلاثة شطب على النحو التالي (لوحة ٤٠):

بقجة كأس بقجة
عز لمولانا السلطان
بقجة كأس بقجة

يعد رنك الساقي اكثر الرنوك انتشارًا على العمائر والتحف التي وصلتنا من العصر المملوكي، ووصلنا من المصادر التاريخية والدلائل الأثرية أسماء العديد من المماليك الذين شغلوا وظيفة الساقي في البلاط المملوكى كالعادل كتبغا المنصورى (تولى ٦٩٤هـ – ٦٩٦هـ / ١٢٩٤–١٢٩٦م) والطنبغا المرداني (ت: ٧٤٤هـ / ١٣٤٣م) والسلطان المؤيد شيخ (ت:٨٢٤هـ / ١٤٢١م) الذي شغل وظيفة السقاية في أثناء إمرته، كما ورد رنك الكأس على عملات بعض السلاطين كالأشرف برسباى وجقمق والغوري[٦٦]، ورنك البقجة هو شعار الجمدار او المختص بملابس السلطان، يُنقش على هيئة مربع ذي

أركان مرتفعة أو على شكل معين[٦٧]. وقد انتشر رنك الكأس مع البقجة بشكل كبير ومنها رنك على جامع التينبية بدمشق ضمن رنوك نائب دمشق تنبك الحسنى الظاهري (٧٩٨هـ/ ١٣٩٤ – ١٣٩٥م) وهو من مماليك السلطان الظاهر برقوق[٦٨]، ورنك باسم الأمير جاني بك نُقش على صينية من النحاس يتألف شطبه الأوسط من كأس يحيط بها بقجتين[٦٩].

ومن الواضح أن هذا الرنك المركب قد ارتبط بالسلطان قايتباى بمدينة اورفا وعينتاب، وقد كانت الأخيرة من الحصون التي تفقدها عند زيارته لبلاد الشام سنة ٨٨٢هـ وأمر بترميم قلعتها، وبقلعة عينتاب لوحدها ٦ رنوك مركبة يرجع تاريخها إلى عام ٨٨٦هـ (لوحة ٤١)، موزعين على البرج السفلي قرب مدخل القلعة وبرج آخر قرب حمام يُعرف بحمام النايب، وعلى واجهة إيوان مدخل القلعة، وقد وردت هذه الرنوك في صيغتين[٧٠]:

الأولى	الثانية
بقجة كأس بقجة عز لمولانا السلطان بقجة كأس بقجة	عز نصره الملك الأشرف قايتباى بقجة كأس بقجة

وايجازًا يُمكن القول إن للسلطان قايتباى في اورفا نوعين من الرنوك كما هو الحال في قلعة عينتاب، جمعت بين الرنوك الكتابية الخاصة بالسلاطين والرنوك الرمزية الخاصة بالأمراء، وتجدر الإشارة هنا إلى أن معظم الباحثين وإن أجمعوا على أن الرنوك الخاصة بالسلاطين تتضمن نصوصًا كتابية فقط ولا تتضمن أى رموز لعلامات وظيفية، وأن الرنوك الخاصة بالأمراء قد تضمنت رموزًا وظيفية فقط ولم تتضمن نصوصاً كتابية[٧١]، وقد اعتبر الرنك المكتشف على قبر أحد مماليك السلطان قانصوه الغوري الذي وجد عليه رمز كأس كتب بداخلها اسم الأمير خضا بردى مصحوبًا بأدعية هي ظاهرة غير عادية تدل على ضعف سلاطين المماليك في تلك الفترة وقوة الأمراء التابعين لهم، فإن رنوك قلعة عينتاب أقدم من رنك خضا بردي وهي رنوك خاصة بسلطان قوى مهيب[٧٢]، ويدعم هذا الرأي مجموعة الرنوك موضع الدراسة.

النقوش الكتابية:

وجدت النقوش الكتابية على أربع منشآت وهي باب اورفا(٨٨٨هـ / ١٤٨٣م)، وباب ميتجان(٨٨٩هـ / ١٤٨٤م)، واعلى محراب مسجد برج العلا (٨٨٧ : ٨٨٩هـ / ١٤٨٢ : ١٤٨٤م) وبواجهة أثر مندثر (٨٨٨هـ / ١٤٨٣م)، أمّا على باب اورفا فكانت بهيئة شريط كتابي ممتد مكتوبًا بخط الثلث:

(بسم الله الرحمن الرحيم أمر بانشائه مولانا السلطان الأعظم الملك العظيم قامع انساب الباغين بأوتاد عدله وعاقر هموم القاصدين بعقاب فضله السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى عامر غامر البلاد

بديانته وبذله محيي السنة المحمدية بقوله وفعله رافع لواء الإسلام بخفض المظالم وقامع عماد الطغيان بردع كل الظالمين حسن منفق في ابنية الطاعات ومنشىء الحصون لحفظ امان المسلمين وصون عرض المسلمات افضل ملوك عصره على الإطلاق وأقومهم في ذات الله بلا شقاق سيف الله المرهف ناصر الدين المحمدي المشرف السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباى عز نصره وكان انتهاء البناء في هذا السور المبارك إلى هذا المكان في رابع عشر من رمضان المعظم سنة ثمان وثمانين وثمانماية من الهجرة)

ونص ثاني يعلو المدخل:

بسم الله الرحمن الرحيم امر بعمارته مولانا السلطان الملك الأشرف ابو النصر

قايتباى عز نصره بتولى الفقير إلى الله تعالى يونس الشرفي نائب النبره بلطف الله

ويلاحظ بالنص الأول تكرار اسم السلطان قايتباى مرتين وهو أمر ليس بجديد أو مستغرب فلقد تكرر اسم السلطان قايتباى مرتين في النص التأسيسي الموجود بكتاب مدرسته (٨٧٧ – ٨٧٩هـ/ ١٤٧٢ – ١٤٧٤م) بصحراء المماليك بمصر "أمر بإنشاء هذا الكتاب مولانا السلطان الملك الأشرف قايتباى سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محيي العدل في العالمين حامى حوزة الدين مولانا الإمام الأعظم السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى خلد الله ملكه"[٧٣].

أمَا الكتابات على باب ميتجان(٨٨٩هـ / ١٤٨٤م) فمكتوبة أيضًا بخط الثلث وتمتد من اعلى فتحة الباب وتُستكمل على الواجهة:

(بسم الله الرحمن الرحيم أمر بانشائه مولانا السلطان المقام الأعظم الملك المعظم سلطان الإسلام والمسلمين محيي)(العدل فى العالم خادم الحرمين والقبلتين الحاج إلى بيت الله الحرام سيف الله المرهف مولانا السلطان الملك الأشرف ابي النصر قايتباى عز نصره بتولى المقر الشرفي يونس نائب النبرة عفى الله عنه وكان الفراغ الى هذا المكان في العشر الآخرة سنة تسع وثمانون وثمانماية)

والكتابات التي تعلو المحراب بمسجد برج العلا (٨٨٧ : ٨٨٩هـ / ١٤٨٢ : ١٤٨٤م) عبارة عن نص قرآني من سورة الجن: "بسم الله الرحمن الرحيم وأنّ المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا"، وهذا النص هو النص القرآني الوحيد الموجود على منشآت قايتباى المتبقية بمدينة اورفا، وعلى واجهة الأثر المندثر (٨٨٨هـ / ١٤٨٣م) وتحديدًا على العتب العلوى للمدخل:

(أمر بعمارته مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى عز نصره سنة ثمان وثمانين وثمانمايه ....)، ويُلاحظ على هذه النصوص جميعها احتفاظ السلطان قايتباى بنفس الألقاب تقريبا التي سُجلت على منشآته المختلفة سواء بمصر أو بلاد الشام، وهى ألقاب تعظيم وتفخيم وألقاب شرفية يلفت النظر فيها حرصه على لقب محيي السنة المُحمدية والذي تكرر مرتين بصيغتين مختلفتين على باب اورفا؛ الصيغة الأولى (محيي السنة المحمدية) والصيغة الثانية (ناصر الدين المحمدي)، وبمقارنة منشآت قايتباى المختلفة يُلاحظ أن هذا اللقب تحديدًا مثل أهمية خاصة ضمن ما حظي به من ألقاب، ونجده

منقوشًا على كتابات مدرسته بصحراء المماليك بصيغة (ناصر الملة المحمدية)، وبكتابات جامعه بجزيرة الروضة بمصر أيضًا بصيغة (ناصر شريعة سيد المرسلين) [٧٤].

نتائج الدراسة:

-شيد السلطان الملك الأشرف قايتباى عدة عمائر بمدينة شانلي اورفا وتحديدًا بمنطقة بيرجيك ما بين الأعوام ٨٨٧-٨٨٩هـ : ١٤٨٢-١٤٨٤م، وتعد اسوار بيرجيك وقلعتها من أهم الأعمال الحربية التي شيدها السلطان قايتباى في جميع أعماله التحصينية على طول نهر الفرات.

- كان للأمير يونس الشرفي فيما بين الأعوام ٨٨٧ : ٨٨٩هـ / ١٤٨٢ : ١٤٨٤م دور مهم في نيابة مدينة تشانلي اورفا في تلك الفترة، ويؤكد ذلك ورود اسمه ضمن النصوص التأسيسية الخاصة بباب اورفا وميتجان وباب الميدان.

-شيد قايتباى بمدينة اورفا الأبراج ذات التخطيطات المختلفة كالأبراج المربعة والمستطيلة والمتعددة الأضلاع.

- باب اورفا الباب الوحيد المتبقي بأجزائه كاملة وبحالته الأصلية، ويزيد من أهميته احتفاظه بالنص التأسيسي والشريط الكتابي الممتد بطول الواجهة، واحتفاظه برنوك السلطان قايتباى.

- الرواشن ذات السقاطات والمزاغل التي التصقت بالأبراج من العناصر المعمارية التي ميزت أبراج قلعة عينتاب ودمشق وحلب وقلعة بيرجيك، ويُمكن أن تُعد سمة امتازت بها العمارة الحربية ببلاد الشام خلال العصر المملوكي.

-حافظت الكتابات التأسيسية الموجودة بمنشآت السلطان قايتباى بمدينة شانلي اورفا على معظم الألقاب التشريفية التي حظي بها، ويلفت النظر لقب محيي السنة المحمدية الذي تكرر في غير موضع وبغير صيغة وبمقارنته بألقاب قايتباي المنتشرة على عمائره المختلفة بمصر نجد أنه يتكرر عليها مما يعكس اهتمامًا خاصًا بهذا اللقب.

-انتشرت الرنوك الخاصة بالسلطان قايتباى على منشآته بمدينة شانلي اورفا وكانت عبارة عن رنوك كتابية ورنوك مركبة.

-تدحض رنوك السلطان قايتباى المركبة التي عثر عليها على الواجهة المتبقية من الأثر المندثر النظرية التي أجمع عليها بعض الباحثين من أن الرنوك الخاصة بالسلاطين تتضمن نصوصًا كتابية فقط وأن رنوك الأمراء تضمنت رموزا وظيفية فقط.

-توصى الدراسة بإدراج منشآت السلطان قايتباى بمدينة تشانلي اورفا (الرُّها) ضمن سجل منشآته الكبير الذي يشمل منشآته وعمائره بمصر وبلاد الشام والحجاز وإلقاء الضوء عليها من قبل الباحثين؛ إذ إنها لا تقل أهمية عنها بل يتضح من خلال الدراسة أنها لا تزال تحتفظ بسجل كتابي ضخم سواء من خلال النصوص التأسيسية أو الرنوك، والتي تُعد بلا شك إضافة مهمة.

أولاً الخرائط

خريطة (١): مدينة شانلى اورفا بتركيا، نقلًا عن:
https://ar.wikipedia.org

خريطة (٢): مقاطعات مدينة شانلى اورفا، نقلًا عن:
https://www.marefa.org

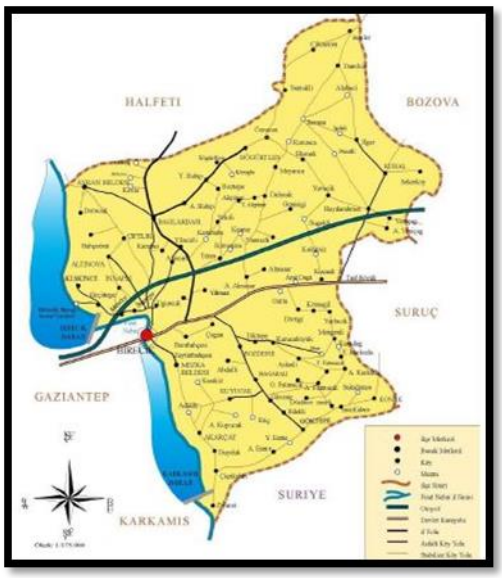

خريطة (٣): مقاطعة بيرجيك، نقلًا عن:
Mirkelam, Mahmut, Birecik belediyesi, stratejik plani ٢٠٢٠-٢٠٢٤ dönemi, Turkey, http://www.sp.gov.tr

ثانياً: الجداول

جدول (١) أهم آثار منطقة بيرجيك باورفا:

الأثر	التاريخ	المنطقة
Ulu Cami Çarşı Camii Mahmut Paşa Camii Tekke Camii Eski Mağara Camii Abd-i Kethüda Camii Şeyh Saadettin Camii Sancak Camii	(٧٦٦ H./١٣٦٤-٦٥ M.) (٧٧١ H./١٣٧٠ M.) (٩٨١ H./١٥٧٣ M.) (٩٨١ H./١٥٧٣ M.) (١٢٢١ H./١٨٠٦ M.) (١٢٤٣ H./١٨٢٧ M.) (١٣٢٩ H./١٩١١ M.) (١٣٤١ H./١٩٢٢ M.)	Birecik
Kule Mescidi Alaburç Mescidi	Kaitbay (٨٨٧ H./١٤٨٢ M.)	Birecik
Mahmut Paşa Hamamı Küçük Hamam Hman Baba Hamamı		Birecik
Dorucak Köyü Şeyh Bekir Türbesi Deh Kubbe Seyyid Ali Baba Türbesi Şeyh Müftah Türbesi Şeyh Cemalettin Türbesi Şeyh Safi Türbesi Şeyh Hasan Baba Türbesi Melik Tahir Türbesi Şeyh Çarıklı Türbesi Şeyh Muhammed Ali Narikey Türbesi Şeyh Abdullah Türbesi Şeyh Cesim Türbesi	(٨٨٥ H./١٤٨٠ M.)	Birecik
Urfa Kapı Meçan Kapı Meydan Kapısı	(٨٨٧ H./١٤٨٢ M.) (٨٨٨ H./١٤٨٣ M.)	Birecik

ثالثاً: الأشكال

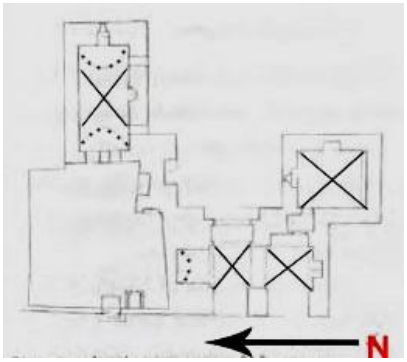

شكل (١) باب اورفا، عن:
Mirkelam, Mahmut, Birecik belediyesi.

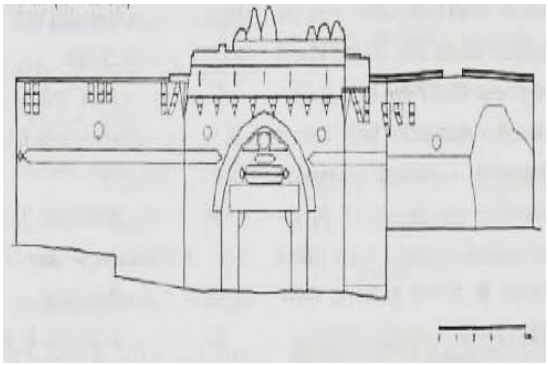

شكل (٢) واجهة باب اورفا، عن:
Mirkelam, Mahmut, Birecik belediyesi.

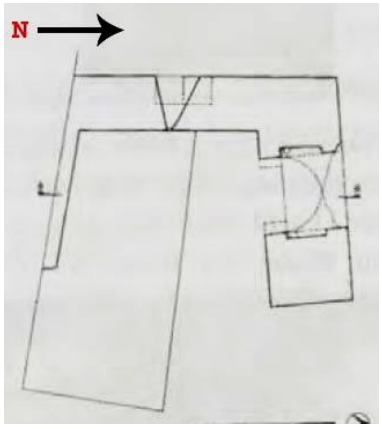

شكل (٣) باب ميتچان، عن:
Birecik, Halfeti, Suruç, Bozova Il çeleri ile Rumkale deki taşinmaz Kültür Varliklari.

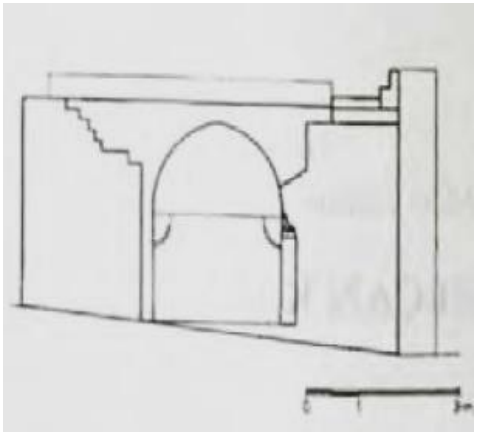

شكل (٤) الضلع الشمالي لباب ميتچان، عن:
Birecik, Halfeti, Suruç, Bozova Il çeleri ile Rumkale deki taşinmaz Kültür Varliklari.

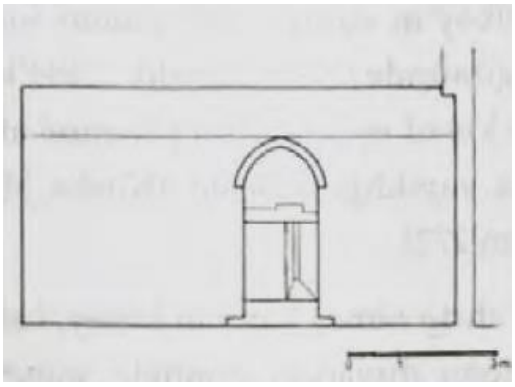

شكل (٥) الضلع الغربي لباب ميتچان، عن:
Birecik, Halfeti, Suruç, Bozova Il çeleri ile Rumkale deki taşinmaz Kültür Varliklari.

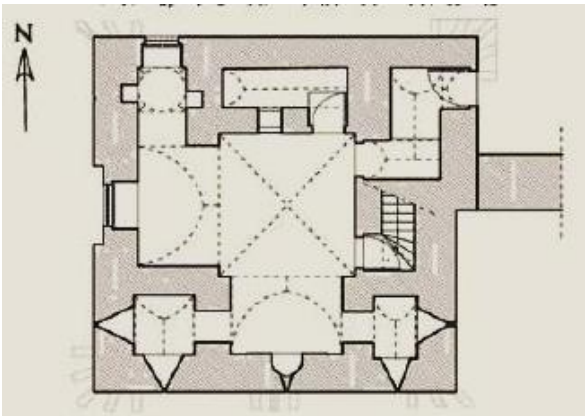

شكل (٦) مسجد برج العلا، عن:
Kürkçüoğlu, Cihat, Şanlıurfa ili camileri.

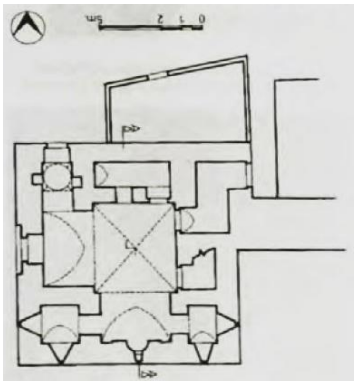

شكل (٧) التخطيط الحالى لمسجد برج العلا، عن:
Birecik, Halfeti, Suruç, Bozova Il çeleri ile Rumkale deki taşinmaz Kültür Varliklari.

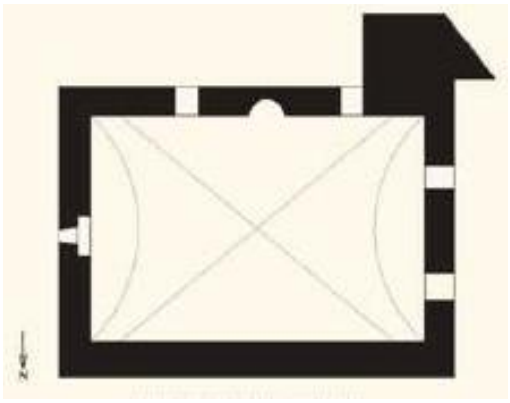

شكل (٨) مسجد البرج (كوله)، عن:
Kürkçüoğlu, Cihat, Şanlıurfa ili camileri.

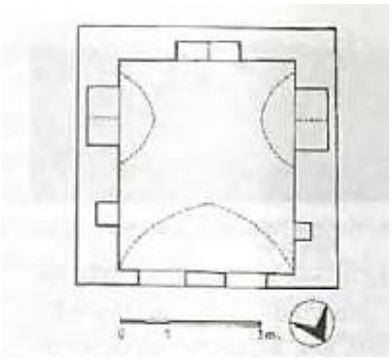

شكل (٩) تخطيط برج مستطيل بسور بيرجيك، عن:
Birecik, Halfeti, Suruç, Bozova Il çeleri ile Rumkale deki taşinmaz Kültür Varliklari.

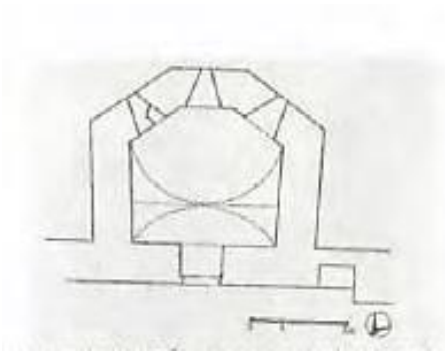

شكل (١٠) تخطيط برج متعدد الأضلاع بسور بيرجيك، عن:
Birecik, Halfeti, Suruç, Bozova Il çeleri ile Rumkale deki taşinmaz Kültür Varliklari.

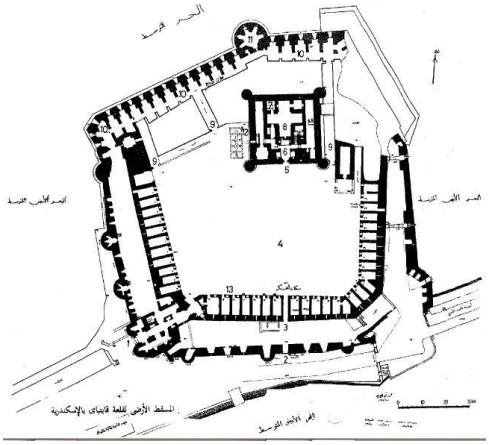

شكل (١١) تخطيط قلعة قايتباى بالأسكندرية، عن:
قلعة قايتباى، وزارة الثقافة، هيئة الآثار المصرية، مطبعة هيئة الآثار المصرية.

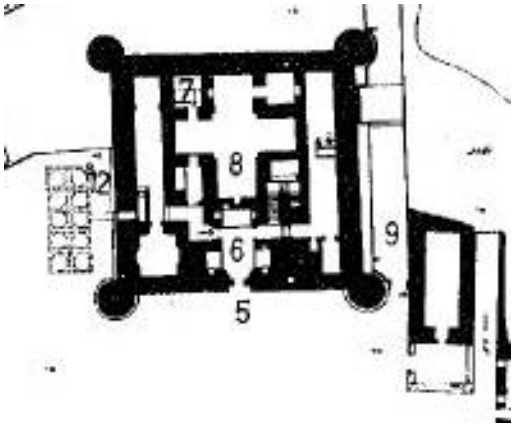

شكل (١٢) تخطيط مسجد قلعة قايتباى بالأسكندرية، عن:
قلعة قايتباى، وزارة الثقافة، هيئة الآثار المصرية، مطبعة هيئة الآثار المصرية.

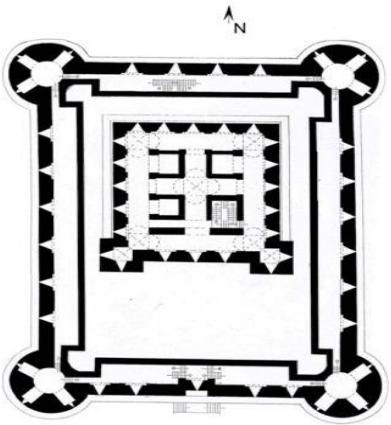

شكل (١٣) تخطيط برج قايتباى برشيد، عن:
الشوكى، أضواء جديدة حول تحصينات قرية برج مغيزل منذ العصر المملوكي وحتى نهاية عصر محمد على، حولية الإتحاد العام للآثاريين العرب، دراسات في اثار الوطن العربي، ع١٦، مصر، ٢٠١٣

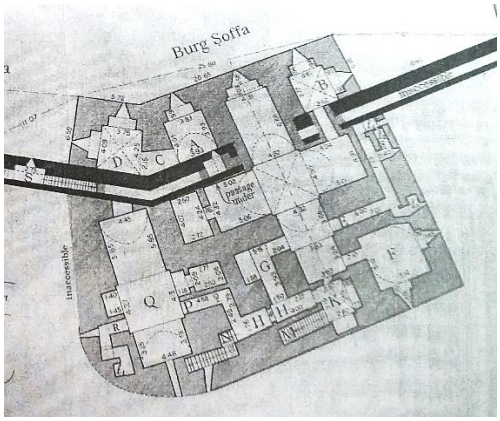

شكل (١٤) تخطيط برج الصفة بقلعة الجبل، عن:
كريزول، وصف قلعة الجبل، سلسلة العمارة الإسلامية في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

شكل (١٥) رنك كتابي للسلطان قايتباى على مئذنة الجامع الأموى بدمشق، عن:
عدره، رشا، الرنوك المملوكية في دمشق.

رابعاً: اللوحات

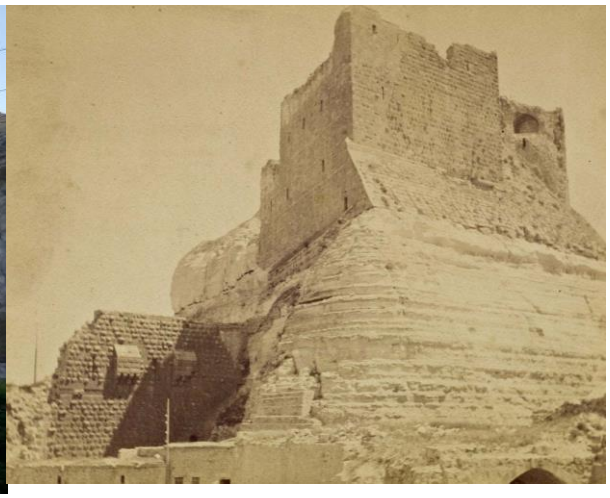

لوحة (١) قلعة بيرجيك، عن:
https://kulturenvanteri.com.٩-feb-٢٠٢٢.

لوحة (٢) قلعة بيرجيك، عن:
Narin, Ömer, Ortaçağda Birecik.

لوحة (٣) جزء من سور المدينة، عن:
Narin, Ömer, Ortaçağda Birecik.

لوحة (٤) باب اورفا، عن:
Mirkelam, Mahmut, Birecik belediyesi.

لوحة (٥) النص التأسيسي اعلى فتحة الباب، باب اوفا، عن:
https://commons.wikimedia.org. ٠٣, Mar, ٢٠٢٢

لوحة (٦) كتلة المدخل بباب اورفا، عن:
Narin, Ömer, Ortaçağda Birecik.

لوحة (٧) السقاطات بباب اورفا، عن:
Narin, Ömer, Ortaçağda Birecik.

لوحة (٩) الحجرة المربعة بباب اورفا، عن:
Birecik, Halfeti, Suruç, Bozova Il çeleri ile Rumkale deki taşinmaz Kültür Varliklari.

لوحة (٨) الإيوان وفتحة المدخل بباب اورفا، عن:
Kürkçüoğlu, Cihat, Şanlıurfa Canlanan Tarıh.

لوحة (١١) باب ميتچان من الداخل، عن:
https://archives.saltresearch.org/ ٠٣, Mar, ٢٠٢٢

لوحة (١٠) الإيوان وفتحة الباب، باب اوفا، عن:
https://commons.wikimedia.org. ٠٣, Mar, ٢٠٢٢

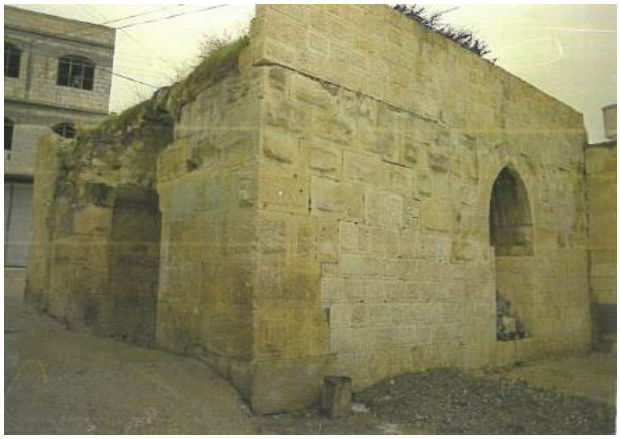

لوحة (١٢) باب ميتچان قبل تهدم الجزء العلوى، عن:
Ekici, Zeynep Mehlika, Memlûkların Güneydoğu Anadolu`da bıraktığı mimari izler, Lisans Tezi, Sosyal Bilimler Enstitüsü, Batman Üniversitesi, Batman, ٢٠١٣.

لوحة (١٣) الجزء الباقى من باب ميتچان، عن:
Narin, Ömer, Ortaçağda Birecik

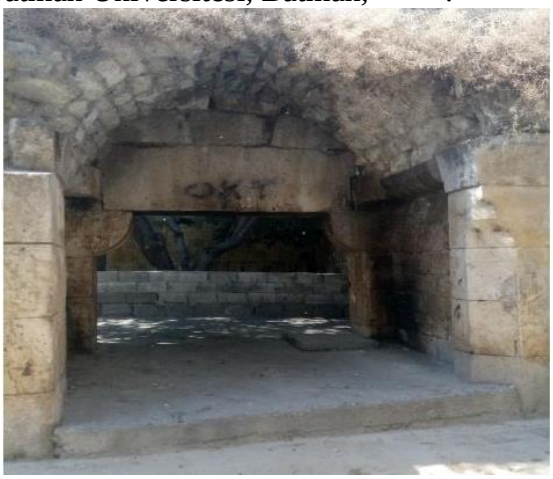

لوحة (١٤) الكتابات اعلى باب ميتچان، عن:
https://mekan٣٦٠.com .

لوحة (١٥) نهاية الشريط الكتابي، باب ميتچان، عن:
Ekici, Zeynep Mehlika, Memlûkların Güneydoğu Anadolu`da bıraktığı mimari izler, Lisans Tezi, Sosyal Bilimler Enstitüsü, Batman Üniversitesi, Batman, ٢٠١٣.

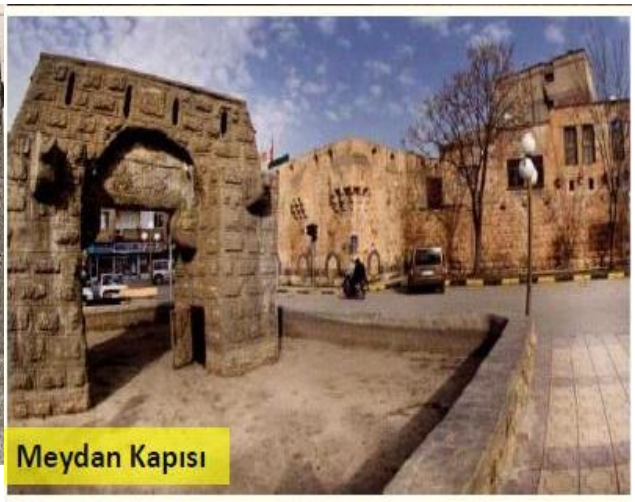

لوحة (١٦) باب الميدان، عن:
https://mekan٣٦٠.com. ١٠-feb-٢٠٢٢.

لوحة (١٧) واجهة أثر مجهول، عن:
https://archives.saltresearch.org ١٣, Mar, ٢٠٢٢

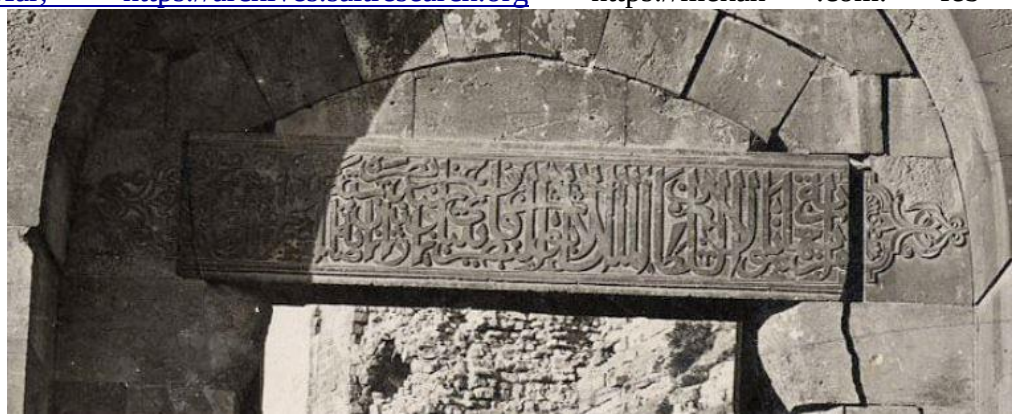

لوحة (١٨) النص التأسيسي اعلى فتحة الباب، عن:
https://archives.saltresearch.org ١٣, Mar, ٢٠٢٢

لوحة (١٩) مسجد برج العلا مطلا على نهر الفرات، عن:
Kürkçüoğlu, Cihat, Şanlıurfa ili camileri.

لوحة (٢٠) الواجهة الشمالية لمسجد برج العلا، عن:
Ekici, Zeynep Mehlika, Memlûkların Güneydoğu Anadolu`da bıraktığı mimari izler.

لوحة (٢١) الواجهة الشمالية لمسجد برج العلا، عن:
https://www.mustafacambaz.com ٩-feb-٢٠٢٢.

لوحة (٢٢) الواجهة الغربية لمسجد برج العلا (صورة قديمة)، عن:
https://archives.saltresearch.org ١٣, Mar, ٢٠٢٢

لوحة (٢٣) الواجهة الغربية لمسجد برج العلا، عن:
https://www.mustafacambaz.com ٩-feb-٢٠٢٢.

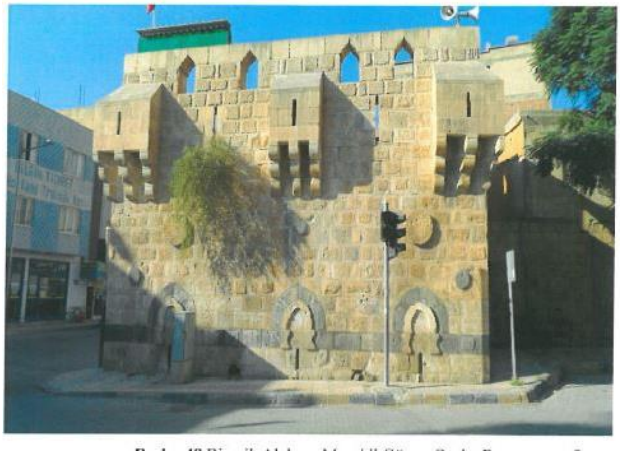

لوحة (٢٤) الواجهة الجنوبية لمسجد برج العلا، عن:
Ekici, Zeynep Mehlika, Memlûkların Güneydoğu Anadolu`da bıraktığı mimari izler.

لوحة (٢٥) الواجهة الشرقية لمسجد برج العلا، عن:
https://www.mustafacambaz.com ٩-feb-٢٠٢٢.

لوحة (٢٦) القبة التي تعلو الدهليز الشمالي الغربي، عن:
Birecik, Halfeti, Suruç, Bozova Il çeleri ile Rumkale deki taşinmaz Kültür Varliklari.

لوحة (٢٧) السلم المؤدى للطابق الثاني بالجهة الشرقية، عن:
Birecik, Halfeti, Suruç, Bozova Il çeleri ile Rumkale deki taşinmaz Kültür Varliklari.

لوحة (٢٨) محراب مسجد برج العلا، عن:
Birecik, Halfeti, Suruç, Bozova Il çeleri ile Rumkale deki taşinmaz Kültür Varliklari.

لوحة (٢٩) الكتابات التي تعلو المحراب، عن:
Kürkçüoğlu, Cihat, Şanlıurfa ili camileri.

لوحة (٣٠) الميضأة المضافة إلى مسجد البرج، عن:
Kürkçüoğlu, Cihat, Şanlıurfa ili camileri.

لوحة (٣١) الضلع الشرقي لمسجد البرج قبل الترميم، عن:
Kürkçüoğlu, Cihat, Şanlıurfa Canlanan Tarıh.

لوحة (٣٢) الضلع الغربي والجنوبي لمسجد البرج قبل الترميم، عن:
Kürkçüoğlu, Cihat, Şanlıurfa ili camileri.

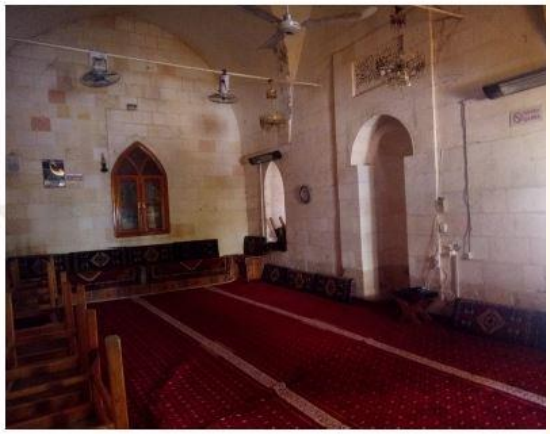

لوحة (٣٣) مسجد البرج من الداخل، عن:
Narin, Ömer, Ortaçağda Birecik.

لوحة (٣٤) جدار القبلة لمسجد البرج، عن:
Kürkçüoğlu, Cihat, Şanlıurfa ili camileri.

لوحة (٣٥) الرواشن ذات السقاطات والمزاغل بمسجد برج العلا، عن:
https://www.mustafacambaz.com ٩-feb-٢٠٢٢.

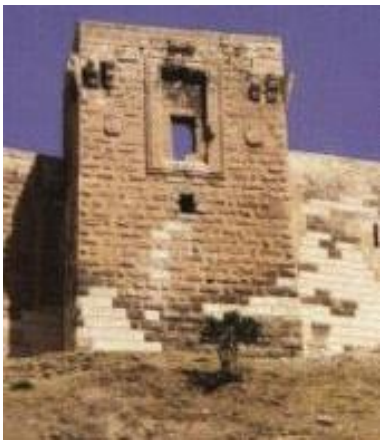

لوحة (٣٦) الرواشن بقلعة عينتاب، عن:
عثمان، نجوى، رنوك السلطان قايتباى في قلعتي حلب وعينتاب.

لوحة (٣٧) الرواشن بأحد ابراج قلعة دمشق، عن:
يوسف، خلود أحمد حاج، أنماط التحصينات الدفاعية للقلاع الإسلامية في سورية .

لوحة (٣٨) رنك كتابي على أحد اجزاء ابراج القلعة، عن:
Ekici, Zeynep Mehlika, Memlûkların Güneydoğu Anadolu`da bıraktığı mimari izler.

لوحة (٣٩) رنك كتابي على احدى واجهات مسجد برج العلا، عن:
https://www.mustafacambaz.com. ٢٠٢٢-feb-٩

لوحة (٤٠) رنك مركب على واجهة قايتباى، عن:
https://archives.saltresearch.org ١٣, Mar, ٢٠٢٢

لوحة (٤١) رنك مركب بقلعة عينتاب، عن:
عثمان، نجوى، رنوك السلطان قايتباى في قلعتي حلب وعينتاب.

حواشي البحث

[١] ياقوت الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله، معجم البلدان، المجلد ٣، دار صادر، بيروت، د.ت، ص١٠٦.

[٢] الجنزوري، علية عبد السميع، إمارة الرها الصليبية، سلسلة تاريخ المصريين ٢١١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م، ص٢٨.

[٣] اضاف الأتراك لبعض المدن اسماء تشريفية تدل على مكانة المدينة وتعلى من شأنها، فبالإضافة إلى شان لي اورفا، هناك كلمة غازى التى أضيفت لعينتاب لتصبح غازى عنتاب، ومرعش التي أضيفت لكهرمان لتصبح كهرمان مرعش، وجميعها اسماء توحى بالعظمة والقوة، وقد عرفت اورفا ايضًا بأرض الأنبياء لأن عدد من الأنبياء عاشوا فيها.

Akbiyık, Mehmet, Şanliurfa ilinin Turizm potansiyeli nin belirlenmesi ve planlamaya yönelik öneriler, doktora tezi, Sosyal Bilimler Enstitüsü, Eğitim fakültesi, Atatürk Üniversitesi, Erzurum, ٢٠١٤,p.XIV.

[٤] زهرة، عبد الغنى عبد الفتاح، إمارة بنى دلغادر التركمانية وعلاقتها بالقوى المجاورة لها ٧٤٠- ٩٢٢هـ / ١٣٩٩ – ١٥١٦م، ضمن أعمال المؤتمر الدولي الخامس (العرب والترك عبر العصور)، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة قناة السويس، ٢٠١٣م، ص٣٩٥.

[٥] الجنزوري، إمارة الرها الصليبية، ص ص٢٩، ٣٥.

[٦] قاسم، كاظم أمير زادة، الصراع الإيلخاني على بلاد الشام، رسالة دكتوراة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق، ٢٠١٧م، ص ص ٦٠-٦١.

[٧] يختلف ورود هذا الإسم في المراجع التاريخية فأحيانًا يكتب دلفادر أو ذو القادر أو دلقادر أو دلقدر، إلا أن الصيغة الصحيحة كما أوردها المؤرخون الذين شهدوا قيام هذه الإمارة مثل ابن تغرى بردى وابن حجر العسقلاني وابن الوردى هى دلغادر، وإمارة دلغادر ترجع أصولها إلى عشيرة يتزعمها امير يقال له دلغادر استقر نواحى البستان ومرعش، وتمكن خلفاؤه من ضم ملطية وعينتاب وخربوت وعزاز وسيس وحصن منصور، ويقال أن نسبهم ينتهى إلى كسرى انوشروان ملك فارس حتى انهم صكوا عملة وكتبوا عليها دلغادر الساساني، وكانوا يذكرون جدهم في الخطبة على المنابر بهذا الاسم. زهرة، إمارة بنى دلغادر التركمانية، ص٣٩٦.

[٨] عبد التواب، عبد الرحمن محمود، قايتباى المحمودي، سلسلة الأعلام ٢٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨م، ص١٣٧.

[٩] ابن الجيعان، بدر الدين ابو البقاء محمد بن يحيى بن شاكر بن عبد الغنى، القول المستظرف في سفر مولانا الأشرف (رحلة قايتباى إلى بلاد الشام) ٨٨٢هـ/١٤٧٧م، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، جروس-برس، ١٩٨٤م، ص٦.

[١٠] عبد التواب، قايتباى المحمودي، ص١٥٧.

[١١] مدينة عينتاب كما ذكرها ياقوت الحموى هي قلعة حصينة بين حلب وأنطاكية، كانت تُعرف قديما بدلوك، وهي من أعمال حلب – حاليا من مدن تركيا- وقال عنها ابن الجيعان أنها مدينة عظيمة بها أسواق، وحمامات، عذبة الماء وطيبة الهواء، بها قلعة ذات أبراج عظيمة وخنادق، وبها مقام حجة الإسلام الإمام الغزالي. ياقوت الحموي، معجم البلدان، المجلد ٣، ص١٧٦. ابن الجيعان، القول المستظرف في سفر مولانا الأشرف، ص٦.

[١٢] يقول عنها الحموى إن أذنة بفتح أوله وثانيه بلد من الثغور قرب المصيصة، خرج منها جماعة من أهل العلم وقد بنيت سنة ١٤١- ١٤٢هـ. ياقوت الحموي، معجم البلدان، المجلد ١، ص١٣٣. تقع مدينة أضنة بالجزء الجنوبي من تركيا، يحدها من الجهة الغربية مدينتي مرسين ونيغدة، ومن الجهة الشرقية كهرمان مرعش وعثمانية، ومن الشمال يحدها مدينة قيصرى، وتشرف المدينة من جهتها الجنوبية على البحر الأبيض المتوسط.

[١٣] طرسوس مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم، ياقوت الحموي، معجم البلدان، المجلد ٤، ص١٣٣. عبد التواب، قايتباى المحمودي، ص١٥٧.

[١٤] Kırbağ, Zeynep Mehlika Uluçam, Güneydoğu anadoluda Memlük Camileri, International Social Science studies journal, V.٧, Issue:٧٧, ٢٠٢١, p.٣١٧.

[١٥] Kırbağ, Güneydoğu anadoluda Memlük Camileri, p.٣٧٠.

[١٦] نيابة حلب كانت في أقصى حدود الدولة المملوكية الشمالية، وتتميز بموقع استراتيجي مهم، وتعد أكبر ولاية في بلاد الشام لاتساع مساحتها والنيابات الصغيرة التي تتبعها، وهي ذات موقع عسكري مهم لمجاورتها لحدود أعدائها من المغول والعثمانيين، لذا اعتبرت الخط العسكري الدفاعي الأول للدولة المملوكية، وقد كان السلطان المملوكي يختار نائب حلب من الأمراء ذات الثقة العالية والكبيرة ويمنحه صلاحيات واسعة، وكان يطلق عليه لقب أمير الأمراء.يوسف، خلود أحمد حاج، أنماط التحصينات الدفاعية للقلاع الإسلامية في سورية القرن (٦- ١٠هـ/ ١٢- ١٦م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق، سورية، ٢٠١٨م، ص٥٥.

[١٧] Kürkçüoğlu, Cihat, Şanlıurfa Canlanan Tarıh, Şanlıurfa Valiliği Restorasyon ve Cevre Düzenleme Çalışmaları ١٩٩٠-١٩٩٥, Şanlıurfa ili kültür egitim sanat ve araştırma Vakfı, no.١١, Kültür dizisi no.٧, Şurkav, ١٩٩٥, p.١٦.

[١٨] يوسف، خلود أحمد حاج، أنماط التحصينات الدفاعية للقلاع الإسلامية في سورية، ص٩٨.

[١٩] Birecik, Halfeti, Suruçç, Bozova Il çeleri ile Rumkale deki taşinmaz Kültür Varliklari, Başbakanlik Güneydoğu Anadolu projesi, Bölge Kalkinma idaresi Başkanlıcı, Ankara, ١٩٩٩, p.٤١.

[٢٠] كان النص موجودًا أعلى الباب الشمالى للمسجد، وقد قرأه العالم ماكس فون أوبنهايم ونشره.

Mirkelam, Mahmut, Birecik belediyesi, stratejik plani ٢٠٢٠-٢٠٢٤ dönemi, Turkey, p.١٢.Kürkçüoğlu, Cihat, Şanlıurfa ili camileri, Şanliurfa Belediyesi Kültür ve Sosyal Isler Müdürlügü Yayinlari, Ankara, ٢٠١٣, p.١٤٢.

[٢١] Akbiyık, Mehmet, Şanliurfa ilinin Turizm, p.١٩٥.

[٢٢] Mirkelam, Mahmut, Birecik belediyesi, p.١١.

[٢٣] Kürkçüoğlu, Cihat, Şanlıurfa Canlanan Tarıh, p.١٦.

[٢٤] Narin, Ömer, Ortaçağda Birecik, Lisans Tezi, Sosyal Bilimler Enstitüsü, Harran Üniversitesi, Şanlıurfa, ٢٠١٩, p١٠٠.

[٢٥] Narin, Ömer, Ortaçağda Birecik, p.١٠٠.

[٢٦] Kürkçüoğlu, Cihat, Şanlıurfa Canlanan Tarıh, p.٩١.

[٢٧] السلطان قايتباى جركسي الجنس جلبه الخواجا محمود بن رستم سنة ٨٣٩هـ من بلاد الجركس؛ فعرف بالمحمودي نسبه إليه، ثم اشتراه السلطان الأشرف برسباي وأنزله طباق القلعة، ثم اشتراه السلطان الظاهر جقمق ثم أعتقه، وتدرج قايتباي في المناصب من جمدار ثم خاصكي ثم دواردار حتى وصل إلى أمير عشرة وأمير طبلخانة، وصار في عهد الظاهر تمربغا اتابكيا للعسكر، بويع قايتباى سلطانا في سنة ٨٧٢هـ وصار الخامس من ملوك الجراكسة والحادى والأربعين من ملوك الترك وأولادهم. تزوج قايتباى من خوند فاطمة بنت العلائي ولم يكن له سوى سرية واحدة وهي خوند اصلباى، وتوفى قايتباى سنة ٩٠١هـ وكانت مدة سلطنته تقرب من الثلاثين عاما، وكان قايتباى محباً للعمارة شيد العمائر والمبانى الفاخرة بمصر وبلاد الحجاز والبلاد الشامية، ومن جملة منشآته قبة عظيمة على القبر الشريف بالمسجد النبوي، ومدرسة بباب السلام بمكة، ومدرسة وسبيل ببيت المقدس، ومدرسة بغزة، ومدرسة بدمشق، وغيرها، أما في مصر فلقد انشأ قايتباى العديد من المنشآت الضخمة منها مجموعته بصحراء المماليك، وجامع بالروضة، وجامع وسبيل ومكتب برأس الكبش، وجدد قبة الامام الشافعي واضاف إليه محرابًا، وعدة أسبلة وصهاريج وقناطر وحوانيت، بالإضافة إلى عمائره الحربية وما طالته يده إما بالتجديد أو الإضافة. ابن الجيعان، القول المستظرف في سفر مولانا الأشرف (رحلة قايتباى إلى بلاد الشام)، ص١٢٥، عبد التواب، قايتباى المحمودي، ص ص١٥،٩.

[٢٨] Mirkelam, Mahmut, Birecik belediyesi, p.٢٣.

[٢٩] Mirkelam, Mahmut, Birecik belediyesi, p.٢٠٢.

[٣٠] Narin, Ömer, Ortaçağda Birecik, p.١٠٢.

[٣١] Mirkelam, Mahmut, Birecik belediyesi, p.٢٠٢.

[٣٢] Ekici, Zeynep Mehlika, Memlûkların Güneydoğu Anadolu`da bıraktığı mimari izler, Lisans Tezi, Sosyal Bilimler Enstitüsü, Batman Üniversitesi, Batman, ٢٠١٣, p.٤٧.

[٣٣] Oppenheim, Max Freiherr von, Inschriften aus syrien, Mesopotamien und Kleinasien gesammelt im jahre ١٨٩٩, Leipzig, j.c. Hinrichs, ١٩١٣.

انظر ايضًا https://arachne.uni-koeln.de/arachne

[٣٤] Kürkçüoğlu, Cihat, Şanlıurfa ili camileri, p.١٥١.

[٣٥] Birecik, Halfeti, Suruç, Bozova, p.٢٠٨.

[٣٦] على الرغم من الاهتمام الكبير بالمنشآت الحربية إلا أن سلاطين المماليك لم يغفلوا قط عن تشييد المنشآت الدينية في هذه المنطقة، فمن ضمن المنشآت الدينية التى شيدها وعمرها السلطان الأشرف قايتباى مصلى مكشوف يقع بمدينة ملاطيا وتحديدًا بمركز بطل غازي، ويُعرف بمُصلى على بابا ومصلى ميدان الباشا، ويعتبر من مصليات الأعياد، شُيد المُصلى في العصر السلجوقي زمن السلطان غياث الدين كيخسرو الثاني (٦٣٤ - ٦٤٤هـ / ١٢٣٧ - ١٢٤٦م)، وجُدد في عهد السلطان المملوكي سيف الدين قايتباي عام ٨٧٨هـ / ١٤٧٣م، وللمصلى نصان إنشائيان أحدهما يرجع للعصر السلجوقى والأخر يرجع للعصر المملوكي.

[٣٧] لم تعثر الباحثة على ترجمة خاصة بالنائب يونس الشرفي نائب النبرة، ولم يصلنا سوى تسجيل اسمه بالنصوص التأسيسية الخاصة بباب اورفا، وميتجان، والميدان.
[٣٨] Kürkçüoğlu, Cihat, Şanlıurfa ili camileri, p.١٥٠.
[٣٩] Birecik, Halfeti, Suruç, Bozova, p.١١٣.
[٤٠] سورة الجن، الآية ١٨.
[٤١] Narin, Ömer, Ortaçağda Birecik, p.٩٦.
[٤٢] Kürkçüoğlu, Cihat, Şanlıurfa ili camileri, p.١٥٢.
[٤٣] عبد التواب، عبد الرحمن محمود، قايتباى المحمودي، سلسلة الأعلام ٢٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨م،ص ص٢٠٣-٢٠٤.
[٤٤] بيج، بيرتون، البرج في العمارة الإسلامية الحربية، ترجمة لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨١م، ص٢٨.
[٤٥] لا توجد أية مراجع أو تخطيطات لقلعة بيرجيك واسوارها قبل القرن ١٧م Birecik, Halfeti, Suruç, Bozova, p.١٩٥.
[٤٦] يلاحظ على قلعة بيرجيك وتحصيناتها أنها تتشابه ومعظم التحصينات الدفاعية الموجودة ببلاد الشام من حيث إنها شيدت في مناطق صخرية شديدة الوعورة منفصلة تقريبا عن المرتفعات المجاورة لها بحيث يكون اغلب اعتمادها في الحماية والدفاع والمنعة على التحصين الطبيعي الدفاعي المتمثل بقمة الجبال والأودية المنحدرة والأنهار المجاورة مع تقويتها بمنشآت دفاعية مثل الأبراج والأبواب. يوسف، خلود أحمد حاج، أنماط التحصينات الدفاعية للقلاع الإسلامية في سورية، ص٢٦.
[٤٧] Birecik, Halfeti, Suruç, Bozova, p.٤١.
[٤٨] قلعة قايتباى، وزارة الثقافة، هيئة الآثار المصرية، مطبعة هيئة الآثار المصرية،
[٤٩] عثمان، نجوى، الآثار والأوابد التاريخية في حلب وكلس وغازى عنتاب، برنامج التعاون الأقليمي السوري التركي، جامعة حلب، ١٤٣٠هـ /٢٠٠٩م، ص٤٥٤.
[٥٠] للمزيد انظر الشوكى، أضواء جديدة حول تحصينات قرية برج مغيزل منذ العصر المملوكي وحتى نهاية عصر محمد على، حولية الإتحاد العام للآثاريين العرب، دراسات في اثار الوطن العربي، ع١٦، مصر، ٢٠١٣، ص٥٩٥.
[٥١] باب النصر أول بوابة أقامها بدر الجمالي في الأسوار الجديدة بمدينة القاهرة، يحف بالبوابة برجان ضخمان مربعا المسقط يبرزان عن سمت الواجهة والأسوار ويبلغ ارتفاع كل منهما حوالي ٢٢م. عبده، عبد الله كامل، الفاطميون وآثارهم المعمارية في افريقية ومصر واليمن، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص٢٥٦.
[٥٢] للمزيد انظر يوسف، خلود أحمد حاج، أنماط التحصينات الدفاعية للقلاع الإسلامية في سورية، ص٢٣.
[٥٣] كالباب الجديد بسور القاهرة الفاطمية والباب المدرج بقلعة الجبل وباب القرافة جنوب قلعة الجبل بالقاهرة، عبد النعيم، أسامة طلعت، أضواء جديدة على سور القاهرة الشرقي من خلال الأكتشافات الحديثة، (١٩٩٨- ٢٠٠٢م)، ع٥، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، مصر، ٢٠٠٤م، ص٥.
[٥٤] يوسف، خلود أحمد حاج، أنماط التحصينات الدفاعية للقلاع الإسلامية في سورية، ص٢٤.
[٥٥] أمين، محمد، إبراهيم، ليلى، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية (٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠ – ١٥١٧م)، دار النشر بالجامعة الأميركية بالقاهرة، ١٩٩٠م، ص٥٨.
[٥٦] يوسف، خلود أحمد حاج، أنماط التحصينات الدفاعية للقلاع الإسلامية في سورية، ص٢٣.
[٥٧] يوسف، خلود أحمد حاج، أنماط التحصينات الدفاعية للقلاع الإسلامية في سورية، ص٢٨.
[٥٨] عدره، رشا، الرنوك المملوكية في دمشق، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الأنسانية، جامعة دمشق، ٢٠١٢-٢٠١٣م، ص١٢٤.
[٥٩] أحمد، عبد الرازق أحمد، الرنوك الإسلامية، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، ٢٠٠١م، ص١٥٥.
[٦٠] عدره، رشا، الرنوك المملوكية في دمشق، ص١٢٨.
[٦١] أحمد، عبد الرازق أحمد، الرنوك الإسلامية،ص ١٩٩.
[٦٢] المقارنة بحلب تحديدا لأن مدينة اورفا موضع الدراسة كانت جزءا من اعمال ولايتها.
[٦٣] عثمان، نجوى، رنوك السلطان قايتباى في قلعتي حلب وعينتاب، دراسات في اثار الوطن العربي ١٠، ص٩٩٧.
[٦٤] عثمان، نجوى، رنوك السلطان قايتباى في قلعتي حلب وعينتاب، دراسات في اثار الوطن العربي ١٠، ص٩٩٩.
[٦٥] من الثابت تاريخياً وأثرياً أن قايتباى قد تولى منصب الجمدار ومنصب كبير السقاة شاد الشرابخانه، وقد سجل ذلك على رنوكه التي عُثر عليها في التربة القديمة (قبة الكلشني) حوالى ٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م بمصر قبل توليه السلطنة. نويصر، حسنى محمد حسن، منشآت السلطان قايتباى بمدينة القاهرة، رسالة دكتوراة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م، ص ٦٤.

[٦٦] أحمد، عبد الرازق أحمد، الرنوك الإسلامية،ص ص٩٥-٩٧.
[٦٧] أحمد، عبد الرازق أحمد، الرنوك الإسلامية،ص ١٠٤.
[٦٨] عدره، رشا، الرنوك المملوكية في دمشق، ص١٥٤.
[٦٩] أحمد، عبد الرازق أحمد، الرنوك الإسلامية،ص ١٧١.
[٧٠] عثمان، نجوى، رنوك السلطان قايتباى في قلعتي حلب وعينتاب، دراسات في اثار الوطن العربي ١٠، ص ص ١٠٠٠- ١٠٠١.
[٧١] اعتمد نويصر في تأريخه للتربة القديمة الخاصة بقايتباى برنوكه الرمزية الوظيفية الموجودة، وذكر أنها لو شُيدت في فترة سلطنته لكانت هذه الرنوك عبارة عن خراطيش كتابية لا وظيفية، وذكر أنه من المعروف أن المماليك طوال فترة إمرتهم يتخذون رنوكًا وظيفية فإن تسلطنوا تحولت إلى خراطيش كتابية. نويصر، حسنى محمد حسن، منشآت السلطان قايتباى بمدينة القاهرة، ص ص ٦٤-٦٥.
[٧٢] عثمان، نجوى، رنوك السلطان قايتباى في قلعتي حلب وعينتاب، ١٠٠٢.
[٧٣] نويصر، حسنى محمد حسن، منشآت السلطان قايتباى بمدينة القاهرة، ص ٦١.
[٧٤] للمزيد انظر نويصر، حسنى محمد حسن، منشآت السلطان قايتباى بمدينة القاهرة، ص ٣٨٨.